

ميثاق العهد

في مسالك التعرف إلى الله

الدكتور فريد الأنصاري

فيا أيها العبد الخائر الحزين!.. ذكر الله هو باب الفرج
تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين يدي هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها الرقراق بنفسك إن شئت

فاخرج أولاً من ظلمات ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى﴾ (101) وأدخل بصيرة ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق:37). فأيقظ قلبك! وألق سمعك! ثم شاهد معي فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد -أولاً- لتلقي آيات القرآن كلاماً من عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ ينتصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً، يلقي كلمات النبوة بلاغا عن الله فتأدب بأدب مجالس النبوة وأنصت! اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير حتى تستطيع الحضور، وتكون من المبصرين!

مطبعة الإنس والجن
Imp. Info-Print
Tel/Fax: 055441734 - P.O.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

مقدمة

إن الحمد لله حمدته، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب العزة جل جلاله:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة:7)

﴿وَالَّذِينَ يَبْقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد:25).

وقال رسول الله ﷺ:

﴿تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَغْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ﴾ (١)

* رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2961.

ثم أما بعد؛

فيا أيها العبد الخائر الحزين!... ذكّر الله هو

باب الفرج!

تلك هي البصرة الأولى التي أهديك بين

يَدَيَّ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها

الرقراق بنفسك إن شئت!

فاخرج أولامن ظلمات (الذين كانت

أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا) (الكهف: 101) وادخل بصيرة (إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

فَأَيُّقُظْ قَلْبَكَ! وَأَلْقِ سَمْعَكَ! (1) ثم شاهد معي!

فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولا - لتلقي آيات القرآن كلاما من

عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله

ينتصب بين يديك إماما معلما ومرشدا، يلقي

كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس

النبوة، وانصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر!.. تلك كلمات البدء،

فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير؛ حتى تستطيع

الحضور، وتكون من المبصرين!

¹ (لقاء السمع: الإصبات الكامل الشامل؛ بما يضم من المشاهدة

النبوية، كما سيأتي بيانه بحول الله

فإذا كنت جاهزا فلنبدا معا قصة السير إلى

الله!

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورها بين

دفي الليل والنهار؛ تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرها لا طوعا! عمرك

اغدود بأجله هو مدة الرحلة! رحلة ليس بيدك

توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها.. وليس بيدك

إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع

إيقاف الأرض عن الدوران؟.. الأرض غاربة حتما

يا صاح! والعمر راحل لا يستشرك! فتأمل! (فَيَا

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

فَمُلَاقِيهِ) (الانشقاق: 6). فإما لقاء المحبين؛ وإما

لقاء المحاربين!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك

أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي

الدركات! أي ما بين طريق العالم العلوي، وطريق

العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب.

وإنما السعيد من حوّل الاتجاه إلى مشرق النور،

حيث الخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من

وحشة مظلمة إلى أنس عظيم بالله! ذلك طريق

النور، فافتح عينيك؛ وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور: 35).

فاحرص أولا على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدخل

أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حبالها!

فأما الأسباب فهي: الدخول في التقرب، وتذوق المحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومحطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان لمن تقرب إلا أن يحب، وما كان للمحب إلا أن يكون محبوباً، وما كان للمحبيب إلا أن يكون ولياً وهناك ينتصب حصن الله الحصين لوليه المحبوب؛ تسديداً وتأييداً، من قصدة بالأذى - يا وثلة! - كان من المالكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويذره الذي يبطش به، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعبدنه! (2) أما كيف تقرب؟ وكيف تتذوق المحبة؟ لتكون منهم؛ فبإياه رهين بمتابعة خطوات الرحلة بهذه الرسالة، في قصة التعرف إلى الله، فلنتقدم!

أما الموانع فحبال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنة النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان. فللنفس أهواء توججها الشهوات، وللشيطان وسوسة لا تخنس إلا بذكر الله! وللزمان ظلمات يوءمها الإنسان؛ بما عبّد من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

ولفتن هذا الزمان خصوصاً رهيباً فهل بقي شك في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر المحن؟ على ما ورد في قول رسول الله ﷺ: تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً! ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا! (3)

وهل بقي شك في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسمائها، كما هي في حديث رسول الله ﷺ، من مثل (فتنة القطر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد ﷺ: (أن النبي ﷺ أشرف على أطعم من أطام

المدينة (4). ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر»! (5)

لقد أبصر النبي ﷺ بعين الغيب - بما عنده الله - صورة من الفتن النازلة بالناس: من بعده ﷺ. فشبهها بالمطر، إذ يعم بسقوطه كل شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شراح الحديث قد حققوا مناطه - اجتهداً - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأولّوه بما؛ إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقاً على زماننا هذا! فالتعبير هنا في

4 - الأملم: بضمين، هو: كل حصن مبنٍ بحجارة على عزم مريعة. جمعه: أطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ أطم بضواحي المدينة لحراستها.
5 - متفق عليه.

هذا الحديث النبوي دقيق جدا! وعجيب جدا! وهو أشبه ما يدل على الخيوط الأثرية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، كالفضائيات، والإنترنت، والهواتف الجوال، ونحو ذلك مما يث في الفضاء، ثم يتول عبر الأقمار الاصطناعية على كل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر القلوات، تماما كزول المطر! على حد تعبير النبي ﷺ: إني لأرى مواقع الفتن خِلَال بُيُوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ! فمن إذن؛ ينجو من فتن كهذه؟ كيف وهي قتل على الناس كيهطول المطر؟ إن لم يصبك قطره، أصابك وحله! وإن لم يصبك من عل؛ أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

أُولَئِكَ الْمُتَّقُونَ. ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِكَ عَلَى صَلْبٍ⁽⁸⁾. ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهْمَاءِ⁽⁹⁾: لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتُهُ لَطْمَةً! فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَت! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا! حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ!

⁸ - الرِّوَالُ: هو مؤجرة الإنسان مما يكون عليه الخبوس من مقعده. والصَّلْبُ: هو عظم الصدر. والمقصود أن الناس في العالم بعد حرب واقتال يمتلحون على أن يخضعوا لحاكم معين، يجلس على كرسي أعوج كالضلع؛ كتابة على مشاشة الاتفاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلا، حتى ينقلب عليه بعضهم فتطلق الفتن مرة أخرى!

⁹ - الدُّهْمَاءُ: نصفهم دُهْمَاءٌ، وهي الظلمة الشديدة. كتابة عن خطورة تلك الفتنة وفتاقتها

ومن مثل فتنة (الأخلاس)، وفتنة (السراء). وفتنة (الدُّهْمَاءِ)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ الذي رواه ابن عمر قال: (كُنَّا قَعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتْنِ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَخْلَاسِ⁽⁶⁾، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا فِتْنَةُ الْأَخْلَاسِ؟ قَالَ: هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ! ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ⁽⁷⁾: دَخَلْتُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي! وَإِنَّمَا

⁶ - الأخلاس: جمع خلس، وهو ليس الدواب المذكورة من الإبل والخيول ونحوها، مما يوضع تحت الرِّجَالِ. وهذا الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين!

⁷ - السراء: هي ما يسرُّ الناس ويُفرِّجهم. والمقصود هنا أن تسرُّ الناس بظواهرها لا حقيقة، وإنما هي تسترهم بذلك إلى شر عظيم: والعياذ بالله!

فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَالْتَمِظُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ⁽¹⁰⁾ فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة التي سماها رسول الله ﷺ بالدُّهْمَاءِ؛ كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلاتها، هي فتنة تستمر زمنا طويلا، ما شاء الله! وهي فتنة عامة شاملة، لا تدع بادية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنسانا، من هذه الأمة الإسلامية؛ إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلمة! ولذلك قال: (لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمْتُهُ لَطْمَةً!) وأنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها - مما سبق وما سيأتي - تجد أنها تجمع على هذا

¹⁰ - رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 4194

حيثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
النوع من الفن العام الشامل الذي لا يمكن
التحرز عنه! تماما كفن الإعلام المحمل بالثقافات
الغازية المدمرة، والملمع بريح العولة اللاهبة! لا
يكاد لها بها يفتر فيطن الناس إنما حمدت؛ حتى
تطلق من جديد، في غزو جديد! تماما كتعاقب
مراحل الاستعمار، بشق أنواعه وصنوفه
ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ
الحديث لهذه الأمة!

مِنْ أَهْلِ الْمَعَادِ ===== فِي هَذَا التَّعْرِيفِ بِرَبِّهِ
 وَعَسْكَرِيًّا وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي وَصْفِ
 الدُّهْنِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ: (فَإِذَا قِيلَ الْقِصَّةُ تَمَادَتْ
 يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا)
 وَهَذَا يُؤَدِّي - فِي نَهْيَةِ الْمَطَافِ - إِلَى افْتِرَاقِ
 النَّاسِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، إِلَى (فُسْطَاطَيْنِ)
 وَاضِحَيْنِ، أَيْ: إِلَى طَائِفَتَيْنِ. كَمَا فِي نَصِ الْحَدِيثِ:
 حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ
 لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ. فَإِذَا
 يَنْتَظِرُ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 مُجِيبًا فِي نَهْيَةِ الْحَدِيثِ: (فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْظُرُوا
 الدُّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ذَلِكَ مَا لَا يَرَاهُ
 الَّذِينَ غَشِيَ الرَّأْيُ بَصَائِرَهُمُ! وَالرَّأْيُ: هُوَ (رَفْتُ)
 الذَّنْبِ وَالْآثَامِ، وَجَوَائِمُ التَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
 العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى:
 ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
 (المطففين: 14) (11). أما الذين يبصرون بنور الله،
 فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون
 ما كتبه بخط أيديهم!

11- وقال النبي ﷺ في بيان ذلك (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكست في قلبه نكته سوداء؛ فإن هو نزع واستغفر وتاب؛ صقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه؛ وهو الران الذي ذكر الله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون") رواه أحمد، الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 1670.

محتاج العهد في هالك التعرف إلى الله
 في الناس كقصاص الغنم⁽¹²⁾ وأن يغدر الروم
 فيمرون بشماين بندا تحت كل بند اتنا عشر
 ألفا⁽¹³⁾

إن الإنسان اليوم يفقد سكينه الإيمان،
ويدخل في جحيم الخيرة، حيرة الضلال! لقد
بدأت ريح العولة فعلا تحتل الإنسان قبل احتلال

¹³ - رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني تصحيح الجليل الصغير، رقم: 3608.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الأوطان! فتجرده من كل قيم الدين، ومن كل
مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر
تصنع الإنسان المتمرد على الله! هذا زمان إعلان
الحرب على الله! فما ينتظر الإنسان غير غضب
رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتن ليس لذاتها،
وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض
الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير
ليتزودوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافة
أن يدركه! والفقه في زماننا أن نسأل عن الخير
الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في
المنهجين معا. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير،

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة؛ حتى
يسركك الموت، وأنت على ذلك! (14).

فهذه التُّنُزُّ من ظلمات الفتن؛ بما هي
علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن الله
ما أباد جيلا إلا جاء بخير منه! قال عز وجل:
﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لَسَوْفَ أُنَبِّئُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُ أَمْثَلُكُمْ﴾ (محمد: 38) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا
فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِئِينَ﴾
(الأنبياء: 105-106).

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى
الفرار إلى الله قبل فوات الأوان: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكننت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني! فقلت:
يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله
بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.
قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم
وفيه ذخر! قلت: وما ذخره؟ قال: قوم يهدون
بغير هديي، تعرف منهم وتنكر! قلت: فهل بعد
ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب
جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا
رسول الله! صفهم لنا! فقال: هم من جلدتنا،
ويتكلمون بالسنتنا! قلت: فما تأمرني إن أدركني
ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم! قلت:
إن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (الذاريات: 50). وإنما
الفرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن
الكريم، على سبيل السلوك إليه تعالى - كما نبين
بحول الله - لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا
الزمان! والوصول إلى بر الأمان من رضى الرحمن.
فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية
خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور
بعثة التجديدا! فإما أن تتركب مع موكب الربانيين
فتكون من الناجين؛ وإما أن تبقى مع المتخلفين؛
فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون
بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ (آل
عمران: 79).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

وفي قضية النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: أبشروا.. أبشروا.. أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سبب - أي: حبلٌ - طرّفه بيد الله، وطرّفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا! (15).

يا أيها الخيران!.. إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيدا! خلقك ولم تكن شيئا مذكورا! وبمقتضى ذلك تترتب على ذمتك حقٌ عظيم! هو

15- رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبري في الكبير، وعبد بن حميد في المستحب من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 713. نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد. طبعة جديدة بتاريخ: 1415هـ/1995

26

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
حق الخالقية! فماذا أدبت الله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان! - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فباعتبار أنه تعالى جعلك (مسلمًا). وتلك نعمة أخرى أعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تحلى الناس فيه عن القرآن؛ يا ويلهم!

هذا هو (ذكرُ) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء البكماء! فتذكروا! ثم تذكروا! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات!

من أجل ذلك؛ كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراسا عمليا، ودليلا تطيقا. يتم

27

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

أما تأصيل النظر فقد فصلناه في كتابنا (البيان الدعوي) (16)، وأما تأصيل العمل فقد بيناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصدا؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصرف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرض من تقديمها؛ أن نعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عهدٍ لوُفِّدَ مع الله عز وجل، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزا على دوام المجاهدة والمصابرة والمراقبة، في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا، وفيمن حولنا من العالمين، تبقى على ذلك بحول

16- أرجو أن يطبع قريبا

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح، وعزم القصد على الانطلاق سيرا إلى الله جل جلاله، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التزويل، فإنها لا تغني في بيان منهج التأصيل. إذ ليست موضوعة لذلك أصلا. وإنما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعاً، لا أصالة؛ إذ هي أشبه ما تكون بالذاكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتفيد لخطوات الصلاح والإصلاح.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الله حتى يأتينا اليقين! فنلقى الله - إن شاء الله -
مقبلين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين.
ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة -عدا تأصيل
العهد وميثاقه، والثاني: في عهد الذِّكْرِ، والثالث:
في عهد القرآن والقيام. ثم الرابع: في المختار من
الأذكار.

والله الموفق للخير والهادي إليه.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن
الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه
ولسائر المسلمين. الأحد: 21 ربيع الثاني 1424
هـ / 2003/06/22م.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الإحكام في الأمر، (...) وقد أوثقه ووثقته وإنه
لموثق الخلق. والموثق والميثاق: العهد. (...)
والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: "وميثاقه
الذي راثقكم به" (المائدة: 7) (...) والميثاق:
العهد، مفعول من الوثاق، وهو في الأصل: حبس
أو قيد يشد به الأسير والدابة⁽¹⁷⁾.

فالميثاق إذن: عهدٌ مُحْكَمٌ يشدك إلى
الدين قولاً وعملاً، ويلزمك بما التزمت به.
و تعبیرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما نقصد
به: توثيق ما نبرمه مع الله عز وجل من
التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب
البلاغ، وإحكامه على قواعد تلخصها
فيما يلي:

¹⁷ - لسان العرب: (مادة وثق).

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه

الميثاق في اللغة: العهد المُحْكَم. وميثاق
العهد: إبرامه وإحكامه. قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: 26).
وفي اللسان: (المواثقة: الشيء الوثيق المُحْكَمُ،
والفعل اللازم. يُوَثِّقُ وَثَاقَةً. والوثاق: اسم
الإيثاق، تقول: أوثقتُه إيثاقاً وَثَاقاً. والحبل أو
الشيء الذي يُوثَّقُ به وَثَاقٌ، والجمع الوثُوقُ. بمزلة
الرِّبَاطِ والرِّبْطِ. وأوثقته في الوثاق أي شده (...)
ووثقتُ الشيء توثيقاً، فهو مَوْثِقٌ. والوثيقة:

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
اعلم - هادي الله وإياك - أن التوبة إلى الله
عزيمة وإرادة، وأن النقلة من الصلاح إلى
الإصلاح مرابطة ومحاهدة. فتمني الصلاح غير
كاف للتحول إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن
يترتب عليه أي إصلاح ولكن لابد لك من عزيمة
تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه
مع الله، تُشهد عليه الله عز وجل، وتشهد عليه
نفسك وصالح المؤمنين، الذين يُذَكِّرونك إذا
نسيت، ويساعدونك إذا فحرت. وهذا المعنى
متأصل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيراً من جلائل
الأعمال في الإسلام كانت تبني على عهد، وتوثق
بميثاق، يكون ربطة في عني المسلم، فإما وفاء بعد

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
 وإما نقضاً! فالدين نفسه في كليته عهد، يوثقه
 المسلم بإقراره أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول
 الله ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ
 العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا
 نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في
 ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث
 المتفق عليه: عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال:
 (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء
 الزكاة، والنصح لكل مسلم)⁽¹⁸⁾. وفي رواية
 لأحمد والطبراني بسند صحيح، أنه قال: (فاشترط
 علي: "والنصح لكل مسلم!" فورب الكعبة إني

18 - متفق عليه

34

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
 لكم ناصح أجمعين)⁽¹⁹⁾. وقيل لسلمة بن الأكوع
 ﷺ: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم
 الحديبية؟ قال على الموت!⁽²⁰⁾ ولد صيغة
 أخرى أبين، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن
 سلمة ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إني ظلت
 الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا
 تبائع؟ قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال:
 وأيضاً! فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا
 أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبائعون يومئذ؟
 قال: على الموت!⁽²¹⁾

19 - رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

20 - متفق عليه

21 - متفق عليه

35

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
 الأكوع من أنه بايع النبي ﷺ على الموت، ولا
 تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.
 ولذلك وجد من بايع النبي ﷺ أكثر من مرة
 - كما هو ظاهر الأحاديث المذكورة وغيرها -
 تكسون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون ما
 بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود
 بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع الله
 على عمل معين سواء كان مؤقتاً كما في يوم
 الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائماً كما في
 النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول الله ﷺ من الأنصار (بيعة
 العقبة الأولى) و(بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم
 ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية، التي

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
 والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم
 الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد،
 في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال
 بعضهم على الموت). وقد جاء مفسراً في حديث
 معقل بن يسار ﷺ، قال: لقد رأيتني يوم الشجرة
 والنبي ﷺ يبائع الناس، وأنا رافع عصا من
 أغصانها عن رأسي، ونحن أربع عشرة مائة. قال لم
 نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا
 نفر⁽²²⁾. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي
 الله عنهما قال: بل بايعهم على الصبر⁽²³⁾.
 وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن

22 - رواه مسلم.

23 - رواه البخاري.

36

37

نزل فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السُّكُوتَ عَلَيْهِمْ وَأَتَاهُمْ فِتْنًا قُرْبًا﴾ (الفتح: 18). وكان رسول الله ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عموما، ومن كل من وفد عليه مسلما، رجالا ونساء.

و(بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها الله نص امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة المتحفة، وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْتَصِمْنَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المتحفة: 12).

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلا: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة) (24).

24 - رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان واحكام عن بريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، 41/42. ونسمة الحديث: (فمن تركها فقد كفر) وقد علم ان ليس المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما هو الكفر العملي، الذي هو ضرب من العصيان المشابه لأعمال الكفار.

(يس: 60-61). وخاطب هذه الأمة في خصوصها فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34).

وذم من نقض العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25). فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَكَسُوا حُظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 13). العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد، باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عموما، ومدرج من

ومن هنا كان الدين ميثاقا وعهدا، فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 7-8). كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7). وقال سبحانه وتعالى مذكرا الناس أجمعين: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب
الصالح والإصلاح خصوصاً. وعدم اكتراث
المسلم به يقوده إلى الشرود بعيداً عن باب الله،
بأنه أن يكون من المصلحين فالعهد هو أول
مدارج السالكين، ومبتداً منازل السائرين إلى رب
العالمين.

ولقد جمعت لك أيها المحب معالم ذلك كله
في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية، نحو إِبصار
لآيات الطريق). فبسطنا لك فيه منهجاً تربوياً،
متدرجاً، مؤصلاً بأدلة وقواعده؛ في كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك
عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من
منهجية تربوية، ومن رعي ليزان الأولويات

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الشريعة، على ما يقتضيه تحقيق مناط الدين في
الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب
البدايات، ويتذكر بها أصحاب النهايات. ومن ذا
يستغني عن ذكر الله، والسير إلى تحصيل رضاه؟
فلا بد لك أيها المحب لطريق البور أن
تجسدت فعلاً لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من
أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقك، وترسخ
وفاءك لعهدك. تماماً كما كان الأنبياء والصديقون.
والرهبانيون المجددون. وإنما أولئك هم العاملون
الذين تنتفع بهم الأمة. وأما القائلون وكفى؛ فهم
في الناس كعند الحصى، ولكنهم غطاء كغشاء
السيل!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكما بُعثَ رسولُ الله ﷺ بالقرآن آيةً آيةً،
بصائر للناس، وهدى للعالمين؛ وجب عليك إذا
تحققت عزمُك أن تنطلق بالقرآن، ومن القرآن،
في بعثة الجديد آيةً آيةً! تنبصر وتُصِر، وتعرف
وتُعرِّف، وترجم أخلاق النبوة حركةً فطريةً في
المجتمع. حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن
العظيم دستورها والرسول ﷺ رمزها وقائدها،
والدعوة إلى خير جهادها. بعيداً عن ضيق
المنظمات، وأسر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين
بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الورد
التربوي لرسالة القرآن، فهل أخذت عليه عهدك
وعقدت عليه ميثاقك؟ أم أنك تعرفه فقط كما

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
يعرف أهل الكتاب كتابهم، إذ طال عليهم الأمد؟
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16). ذلك
المنطلق، إن أردت فعلاً أن تسلك سبيل الصالحين
المصلحين، وإنما الموفق من وفقه الله.

نبصرة: كيف نوثق العهد؟

سل نفسك أولاً:

هل حقاً تريد البدء أم أنك تكتفي فقط؟ هل
عزمت عزمك لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق
في مدارج الجهادة؟ سيرا إلى الله مع الصالحين
المصلحين؟ أم أنك ما تزال متردداً باحراج

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الشيطان، مماعاً لوساوسه؟ لا يكون لك بدءٌ يا
صاحبي، ولا لبدئك أثرٌ؛ حتى تحيب نفسك عن
نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا
تريد!

فاخسبم نيتك في نفسك مع الله أولاً! وإلا
فلن تبرح مكانك! ولن تستطيع مغادرة طينك.
وبقى هالك، وقد انطلقت قوافل الركع السجد
بعيدا، تضرب نحو باب الرضى الرباني العظيم!
وخلفتك وراءها وحيداً، صالاً عتاهات الدخان.
تدور في ذرك الخطايا والآثام! وقد سبق
المفردون: الداكرون الله كثيراً والذاكرات!!⁽²⁵⁾
فأين أنت أيها المتمنى؟

25 رواد مسند

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد
انطلقت، يقودها - إلى الله - محمد رسول الله ﷺ
سائراً بكل من (هضبة). وإنما معه الذين حققوا
(المعية النبوية)! وهم أصحاب الساميين
تبغهم من إخوانه المحجلين! اقرأ هذه الآية
البصرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ. يُعْجِبُ الرُّعَاةُ لِيُعِظَ بِهِمُ

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الْكُفَّارِ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُنْقَرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

تدبر الآية كلها أولاً! ثم خص بديرك
عبارة: (وَالَّذِينَ هَضَبَةُ).. إثم أهل (المعية النبوية)
أهل (السيمى)! والسيمى، أو السيماء: العلامة
الدالة على معنى. فهم إذن: الربانيون، أصحاب
علامة الرضى من أثر السجود!

وليست (المعية) هنا هي المعاصرة الدنيوية.
فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين. وكان
المنافقون معه، لكن ليس بمعنى المعية النبوية
الاتباعية! وإنما (هضبة) الربانيون! ولذلك دخل
في معنى الآية إخوانه أيضاً. وإخوانه: هم كل من
آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وذلك قوله "يُعِظُ": وددت أني لقيت
قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنت
أصحابي وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني!⁽²⁶⁾

وفي رواية أخرى مفصلة قال ﷺ: وددت
أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنا إخوانك؟ قال:
بل أنتم أصحابي وإخواننا: الذين لم يأتوا بعد.
قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟
قال: أرايت لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بين
ظَهْرِي خَيْلٌ ذُهُمٌ بِهِمْ⁽²⁷⁾، ألا يعرف خيله؟ قالوا:
بلى! قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلِينَ

⁽²⁶⁾ - رواد أمجد. وصححه الألباني في صحيح الجامع
7108.

⁽²⁷⁾ غُرٌّ: جمع غُرٍّ، والغُرَّة: باضٌ على جهة الحصار
الأحمر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان السبعة
البياض، والتمحيل: باض يكون على قدميه، وأبيض
أنهم، وهو في الخيل الحصان ذو اللون الواحد. من جرد
سواد أو نحوهما، غير مشوب بشيء غير لونه ذلك. والذهم
جمع أذهم، وهو ذو اللون الأسود الشديد السواد.

الفصل الثاني: في عهد الذكر

نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب الله تعالى، هما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات الحيرة والتيه. فاقروا وتدبروا ولا تعجل حتى تستكمل شعاع النور!

فأما أولاهما فهي قول رب العزة جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2). هذه بصيرة من بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف إلى الله. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو - بعبارة

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله من الرضوء، وأنا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ! أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ! أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمُّ! أَلَا هَلُمُّ! فَيَقَالُ: إِنَّمَا قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ! فَأَقُولُ: سَحَقًا! سَحَقًا! فَسَحَقًا! (28).

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذلك نقضه! هو عهد إذن؛ تقطعه على أنفسنا الله وحده، مخلصين له الدين إن شاء الله، سائرين إليه تعالى على طريق الإيمان رَغْبًا وَرَهْبًا. معتمدين بكتابه وبسنة نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم. وقيامًا بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقًا وتحقيقًا؛ فهو أعمال وأقوال. وبيان ذلك هو كما يلي:

تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المُفْرَدِينَ السَّابِقِينَ!

الذِّكْرُ هو مفتاح البصرة! هل تريد أن تكون من البصيرين؟ هل تشاق إلى مشاهدة الأنوار الربانية؟ وهي تتدفق من بصائر القرآن، لتشمل الكون كله! نعم؛ إذن أذكر الله كثيرًا! ولا حَظَّ في السبق إلى ذلك لمن غفل عنه! اقرأ هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن تكتشف سرَّ السير إلى الله.. قال رسول الله ﷺ: سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ! قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات (29).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله أخرى أكثر تفصيلًا - أسأل: ماذا تعرف عن الله؟ وما مزية قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن القلب ينعم بجمال (الوجل)، كلما استنار بجلال التعرف إلى الله؛ وإما: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: 22). وأما الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وذلك طريق من لم يعرف نور الذِّكْرِ إلى قلبه مسلكا! فإني يكون من البصيرين؟ ولك الآن أن تسأل: كيف الخروج إلى مسلك النور؟ كيف التخلص من غفلة العُشُوْء عن ذكر الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوجل من ذكر الله؟

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكيف لمن ذكره الله في ملئه الأعلى ألا يكون من
السابقين؟ وإنما هو شرط واحد، وعهد واحد!
ذلك قول الله تعالى في محكم القرآن العظيم:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾
(البقرة: 152). وكانت مهمة موسى وأخيه هارون
من أثقل العزائم في تاريخ الرسالات قبل نبينا
محمد ﷺ! إنما دعوة فرعون! ذلك الطاغية الذي
قال في الناس: أنا ربكم الأعلى! وإنما كان زاد
موسى وأخيه في طريقهما إليه: ذكر الله! ومع
ذكر الله يتضاءل الجبل حتى يكون مثل حصة!
قال عز وجل: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا
تِنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا
لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَا بُعِثَ لَكُمَا رُسُلًا ۖ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله
تُخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ. قَالَ لَا تَخَافَا
إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: 42-46).

إن المعية الربانية كانت حاصلة مع
الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه: ﴿وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي﴾! والمعية كفاية الله العبد في الدنيا
والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من
الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل عز وجل في
حق الملائكة العندين: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: 20). لا يفترون!

وهي معية تحبيب وتقريب، قال النبي ﷺ في
الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أنا عند طرف
عبيدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله
في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه
ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن
أتاني بعشي أتته هرولة⁽³⁰⁾. فليس عبثاً إذن؛ أن
يكون الذكر أفضل - في بعض مراتبه - من إنفاق
الذهب والفضة، بل من الجهاد في سبيل الله!
وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي
الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: (قال النبي ﷺ: «أَلَا
أَتَبِّحُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ،
وَأَرْفَعُهَا فِي ذُرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ
الدَّمْعِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَذَابَكُمْ
فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ،
قَالَ: ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَىٰ!﴾ فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله
شيء أتبعني من عذاب الله من ذكر الله! (31)
وهذه مرتبة خاصة من الذكر سيأتي بيانها بحول
الله.

تلك هي القصة إذن! وتلك هي الطريق،
فأين الذاكرون؟ أين حصتك من الذكر صباحاً؟
وأين هي حصتك مساءً؟ ألم يقل الله تعالى للمؤمنين:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42)
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

31- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

صحیح الترمذی: 139/3 وصحیح ابن ماجه: 316/2

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿
(آل عمران: 190-191). وما زال رسول الله ﷺ
يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى أن يكون
المؤمن من المتشبهين! فعن عبد الله بن بسرٍ رضي
أَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ
كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ! قَالَ: لَا
يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ⁽³²⁾. هكذا
(رطبا)، كأنما هو بقلّة، أو زهرة، أو ثمرة، تستمد

72 - رواه أحمد والترمذي، وابن ماجة وابن حبان والحاكم
عن عبد الله بن بسر. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير
برقم: 7700.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الماء من نبع دائم يفيض بالحياة! والذكر حياة
الروح. وكأنما اللسان جدره الممتد إلى الغدير.
أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة
نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن
نزيد: (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ)..
وإنما الحكم بين
المتنافسين هو الطريق!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
نُبصرة: كيف نذكر الله؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا
الأمر أولا، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما
طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟
ذكر الله عبارة عن غذاء تعبدي تنتفع به
النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه
قطعا لا يكون شيء! لا سر ولا وصول! وإنما
أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءا بالإقرار
بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج،
وما تفرع عنها جميعا من صالح الأعمال، سواء في
ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله
تعالى: ﴿لَوْ مِنْ بَعْشٍ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ لَقَبِضْ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). وقوله:

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنُحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا
فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: 124-126).
فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكرا:
لأنه إقرار بما عهد الله إلى بني آدم في عالم الذر من
التوحيد، وبما طبع عليه فطرقهم من الإيمان،
السابق إلى النفس ابتداء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ
رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا عَدِمِينَ
(الأعراف: 172). وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا عَهْدُ
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
عَبُدُوا مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
(يس 60-61).

وهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (مذكراً) ولم تكن مهمة الرسل إلا (تذكيراً)، تذكيراً بالعهد الأول، الذي أخذه الله على بني آدم في الوجود الفسي من عالم الغيب. وهذا المعنى أيضاً لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (مذكراً)؛ ولذلك قال تعالى محمد ﷺ بأسلوب الحصر هذا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: 21).

والناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتلائية؛ يشرعون في العودة إلى خالقهم عبر مدارج الدين. فالؤمن الحق هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يغره الرخاء، ولا تنزله المصيبة.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، التي تقال عند وقوع السبلاء. قال عز وجل: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّرَاتِ وَبَشْرِ الصَّائِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَتَعْلَمَنَّهُمْ صَلَواتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَنْتَ لَمُتَّبِعُونَ﴾ (البقرة: 155-157).

لكن قد يطلق لفظ (التكرار) في الشرع بمعنى أخص، فيقصد به: ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يرددها العبد في أوراده اليومية، ويستحرك بها لسانه، تسيح

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وتحميماً، وتخليلاً، وتكبيراً، ونحو ذلك. وهو المراد - مما سبق إيراده - من قول رسول الله ﷺ، فيما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ! قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ!

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكلي الذي يراد به تذكّر الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته. فوظيفة الذكر بهذا المعنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وترسيخها عليه، وترقيتها بمدارجه ومراتبه؛ حتى

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تكون من أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية (33).

33 - لا يجوز للمسلم الذي صحت عقيدته أن يدلو في القول بالمشاهدات، بما يخالف أصول العقيدة؛ كالذي يعتقدون، بأن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقراً في اللوح المحفوظ؛ فهذا من الموروثات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشطحات. وقد أجمع العارفون المحققون على ألا حقيقة إلا - صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطاً بضوابط العقيدة الصحيحة؛ وإنما الموفق من وفقه الله.

وأما اللوح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدر. فلا أحد من الأنبياء زعم علينا أنه يقرأ فيه. إلا ما جاء وحياً معاهداً؛ وقواطع القرآن فاطعة لكل جدل عقيم؛ قال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَتْلُو نَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَتْلُو نَكُمْ كِتَابَ الْغَيْبِ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: 50)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغُيُوبِ﴾ (آل عمران: 179) وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا تَأْتُمُونِي فِي

وقوله ﷺ في الحديث المذكور: لا يزال لسائلك رطباً من ذكر الله دال على الاستمرار، فعبارة (لا يزال) تدل - في العربية - على بقاء ما

المساوات والارض الغروب إلى الله وما يشعرون أنهم يُمنون (المل: 65) وغاية ما أتت عن النبي ﷺ من ذلك أنه سمع صوت أقلام الملائكة الذين يستمعون من النوح المحفوظ! نعم سمع ولم يرا! هذا ما صح به الحديث. فقد أعرج البخاري أنه ﷺ قال: أعرج ر. حين ظهرت سمعوا أصح فيه من ر.

الأقلام. فعبارة أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة؟ هي أكثر غلواً من دعوى النبوة؟ فافراً وتدبراً ثم تبين:

وأما كشوفات المؤمنين ومشاهداته فإنما غايتها تبصير حقائق الكون والقرآن في النفس وفي المجتمع وكفى بها حقيقة عظيمة! عملاً القلب وتعمير الوجدان؛ ولكن (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (ق: 37).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس. وتتبع مشاهدتها في الكون؛ تفكراً وتدبراً وذلك معنى حديث النبي ﷺ عن (الإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك! (35) أما تسديد الآيات، وترجيح العبارات بلسان غير موصول بالقلب، فعمل عديم الفائدة. وما الذكر إن لم يكن تذكراً لغائب المعاني، وشارد المقاصد؟ تذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير للتفكير؛ وإلا فلا ذكر!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛ لأن النفس في سيرها إلى مولاه - بعد إيمانها وصلاحتها - قد تغفل، فتشرد وتضل وتضطرب، فحاج إلى تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة العجيبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28) وقول النبي ﷺ: مثل الذي يذكر ربه؛ ليدي لا يذكره مثل الحي والميت! (34).

فالذكر إذن حضور واستحضار. فحضور حضور القلب بين يدي الله تعالى عابداً منبتلاً.

34 - منفق عليه، واللفظ للبخاري.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله ولك أن تشاهد أحوال من سماهم الله تعالى بأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ عَذَابُ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191) ذلك قلب العبد المحب له واردان الثنا: لسان يذكر وذم يتفكر؛ وبهما معاً تنفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون؛ فكل كلمة من الذكر تنساب على اللسان هي سفينة فضائية، تحملك غروباً إلى الرحمن، عبر ملايين الأفلاك والمجرات، فتعترق بك الطبقات تلو الطبقات، من المدارات والفضاءات؛ فأعظم بها سياحة الذاكرين! في رياض الملك والملوك!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
هنا إذن؛ نحضر أهمية مجالس القرآن، حيث
تتفع المذاكرة والمدارس في تلقي منهج التفكير
والتدبر؛ فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين،
وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تتذكروا إن
كلمة واحدة من التسيح، أو التهليل، أو التكبير؛
لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى، تبعد عن
كوكب الأرض بملايين السنين الضوئية! وتدبر
هذا الحديث النبوي العجيب: وعليك بذكر الله
تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء،
وذكرك في الأرض⁽³⁶⁾ فأركب سفينة الذكر يا
صاح ثم انطلق!

³⁶ - روه أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وحسنه
الألباني. انظر حديث رقم: 2543 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ثم يحسن بك أيضا أن تقرأ ما أوردناه
بالمهامش - أسفله - من تأصيل عن النبي ﷺ، في
فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار النبوية
المختارة؛ فهو من خير ما يساعد المؤمن على
استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.

ولك في هذه الإشارات - إن شئت -
بدايات. وذلك من أجل تبين مسلك تطيقي
للذكر. ولنجعله على قسمين: الأول ذكر قرآني،
وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقرآن باعتباره
(ذكرًا). والثاني: ذكر نبوي، وهو بيان منهج
التعامل مع الصيغ السنية في ذكر الله تعالى.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: في مسالك الذكر القرآني:

القرآن العظيم رأس الذكر، ومفتاح الذكر،
وتاج الذكر. بل القرآن هو الذكر! قال سبحانه:
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ. وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِّنَّا نُنَبِّئُكَ﴾ (القلم 51-52).

والقرآن أيضا به يكون الذكر! قال سبحانه:
﴿أَص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص:1). والفتنة
حينما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها
البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿إِنْ
لَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:201).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الإشكال الآن هو: كيف نحصل الذكر
بالقرآن؟

هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل
قارئ للقرآن هو بذاكر!

تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج

(التلقي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من (يتلقى) القرآن!

وإنما يؤتي القرآن ثمار الذكر حقيقة لمن تلقاه؛ وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6).

ولا يزال القرآن معروضا لمن يتلقاه؛ وليس لمن يتلوه فقط؛ وما أدق وأجل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

تجلى النور فوق الطور باق

فهل بقي الكليم بطور سيناً؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عموماً. كما في قول الله تعالى: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْخُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103) ³⁷.

وأما تلقي القرآن: فهو استقبال القلب للوحي. إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ. على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6). إذ لقي الله عليه القرآن بهذا المعنى! وما فسره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا

³⁷ - انظر ذلك مفصلاً في مفردات الراغب، مادة: (لقى).

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوةً واستماعاً على أنه (تريل)، وليس فقط على أنه (إنزال). فقد فرق علماء القرآن بين (التزيل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن الإنزال: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى، إلى السماء الدنيا. وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1). وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ (الدخان: 3).

وأما التزيل: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ. تعالج قضايا النفس والمجتمع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (متجماً): أي مفرداً على

سَتَلْقَى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: 5) قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّلَ من النبوة والوحي) ³⁸.

وإنما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سنبينه بعد بحول الله. فذلك المنهج هو الذي به تبعث حياة القلوب. لأنها تتلقى آنذا القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنتَ تُدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ. وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا. وَإِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52-53).

³⁸ - مفردات، مادة: (لقى).

آيات، تنزل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان، وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة نزول الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي.

وذلك هو المذكور مثلاً في قول الله تعالى: ﴿لَحِمَّ تَنْزِيلَ مَنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 1-3).
فالتنزيل: تفريق القرآن آيات: آيات - لما ذكرنا - عند نزوله على قضايا الناس. وقد ذكر الله سبحانه المعنيين معاً بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿وَيَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجوماً، بجواب كلام الناس⁽³⁹⁾.

(وتلقى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر؛ إنما يكون بأخذه - فضلاً عن كونه إنزالاً - على أنه تنزيل. حيث يتعامل معه العبد، ويتدبره آية، آية، باعتباره أنما تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فبحث قلبه حياً في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقِي) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37). ذلك هو الذاكر

³⁹ - مفردات غريب القرآن، مادة: (نزل).

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: 105-106).

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين "الإنزال" و"التنزيل" في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى. والإنزال: عام. (...)) وقوله تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1)، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التنزيل)؛ لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجماً فنجماً) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ"، قال: أنزل القرآن في

حقاً، الذي يحصل الذكرى ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلقه ﷺ؛ فقالت: كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ! ⁽⁴⁰⁾.

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضاً أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على موطن الداء! فأدام الشيطان لما

⁴⁰ - رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت
عليهما أماراة الفواية؛ يسقوط لباس الجنة عن
جسديهما! فظل آدم **الظليل** كئيها حزينا. قال
تعالى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَى) (طه: 121). ولم يزل كذلك حتى (تلقى)
كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له
بذلك شفاء! وذلك قوله تعالى: (فَقَلَّقَى آدَمُ مِنْ
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)
(البقرة: 37). فهو **الظليل** كان في حاجة شديدة إلى
شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا
يدري كيف؟ فأنزل الله عليه - برحمته تعالى -
كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى
﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23) فيمجرد
ما أن نزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛
حيث نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له
التوبة خلقاً إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه
السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات
التوبة على سبيل (التلقي): (فَقَلَّقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ)!

فعندما تقرا القرآن إذن؛ استمع وأنصت؛
فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل
بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا
أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: في مسلك الذكر النبوي:

وأما الذكر النبوي؛ فلأنه لا يكاد ينحصر
لكثرته؛ فإننا ننتخب منه نموذجاً واحداً للممثل
التطبيقي، ولنجعل (السيح) له مثالا -
(سبحان الله!)؛ كلمة إجلال وتعظيم؛
تريها لله رب العالمين. إنها كلمة تتبع من قلب
عرف الله؛ فانبهر بعظمة سلطانه وجلال ربه.
وأدركته الهيبة والخشية؛ لما رأى من آيات الملك
وعظمة الملكوت! أنصرت ذلك مثلاً فينا أنكره
الملك العظيم على الكفار! قال سبحانه: ﴿وَمَا
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: 67).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

ان تسبح الله معناه أنك تعبده بالتريه.
والترية أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجدانك أنه
سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن
يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق
المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن
تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات
الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى
نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو،
كما وصف نفسه بمراذه، ومقاصده، جل وعلا.
ان تسبح الله يعني أنك ترهه عن خلقه، تشعر
بوجدانك أنه تعالى مفارق لهم، متعال عنهم.
واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات
العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

ميثاق العهد _____ في مسالك التعرف إلى الله

تأمل جيداً معنى الخلق! ركز ذهنك عند المشاهدة البصرية، وعند المطالعة القلبية! وأبصر: كيف كان هذا الكون العظيم؟ الممتد من عالم الشهادة إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم آدم. إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة! يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي، ويمن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون الكبير! اقرأ!... (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق: 1)

وهذا يقتضي منك رحلة كونية عظيمة، لا
تنتهي إلا بانتهاء قدرتك على التبع الروحي

مستأنق لعهد في مسالك العرف إلى الله

للفضاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات الكون، وطبقات الأجرام والسموات.. وتبصر بعين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى.. وتذكر الله. إنه خلق كل هذا! إنه خلق كل شيء. إنه فوقهم جميعا، متعال عنهم جميعا. إنه ليس له مثل: سبحان الله! أي خلق كل هذا وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك محيرة العقول؛ فقل: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله... حتى ينتهي النفس، ثم حدد: سبحان الله!

هذه غلة تسترزق قوتها، وتلك نخلة تسلك
سبل ربها، وتلك بعوضة تشمر بالحياة، عجيبا
سبحان الله! وأمم أخرى أدق وأصغر، لا تدرك
بالنظر العادي، تملأ أحشاءنا وتسبح في دمائنا،

 $\chi^2 =$

صنّاء العهد في مسالك

وتسرح في الفضاءات، وارقب أُمم الأرض من
سائر الكائنات وسائر الأنواع، وصر أُمم
السماء، وأبصر حشود الملائكة تملأ طبقات
السموات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال
البنّي ﷺ: إني أرى ما لا ترون، و أسمع ما لا
تسمعون: أطب السماء وحق لها أن تئط! ما فيها
موضع أربع أصابع؛ إلا ومَلَكٌ واضع جبهته لله
تعالى ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً، ولبيكتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على
الفرش! وأخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله (41)،

41- روه محمد ولہ محمدی واسر مسجد و علیاکہ
مرفوعا. وحسنہ الالبانی. انظر حدیث رقم: 2449 فی صحیح
احمامہ

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
والملائكة على تلك الحال من العبادة أبداً إلى ما
شاء الله. قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَخْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾
(الأنبياء: 19-20)

وتسبح الأمم في الأرض لله طوعاً وكرهاً.
وكل الخليقة أمة. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ مَا
فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾
(الأنعام: 38). وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق
الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يرزق،
هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي،
هو وحده يميت، هو (الحي القيوم)، يقوم بأمر

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الكون كل الكون؛ خلقاً وإحياء، وإماتة،
وتقديراً. لا يتحرك شيء في الكون - مهما دق أو
صغر - إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يَغْلُمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَبَبٍ وَلَا نَابِيسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59) ويدير كل شيء لا يشغله
شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن
خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل
واحد مسأله! وهو تعالى فوق الزمان والمكان، لا
يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء
محيط، جل وعلا، سبحانه هو خالق الزمان
والمكان!

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ثم انطلق! انطلق إلى مولاها ومُرَّ على
العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل:
سبحان الله! تعالى الله عن كل شيء علواً كبيراً.
أعني يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة
التسبيح قد سبح الله!.. فسبح الله! سبح الله!
سبح الله!

تلك لمعة من لمعات التسبيح، وومضة من
ومضاته، ومضة أقل من أثر برق! ضرب هنا ثم
انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتزويه رب
الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة
كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله
إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لتعظيم رب
الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها. وكل حملة
مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجانها؛ فذكر الله
واقرباً إن شئت قول الله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190-191).

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب:
(وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه
روحك في السماء، وذكرك في الأرض!) فانظر

وتدبر: هل أنت فعلا ممن يقرأ ويدكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحدا!

تبصرة: في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداء. فذلك أفضل؛ لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كان يكون مسافرا لمقطع المسافات بتلاوة أوراده، من قرآن أو أذكار. ولذلك قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: 191) وإنما ورد حديث (سبق المفردون) - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره ﷺ. فقد قاله النبي ﷺ للصحابة الذين كانوا

معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة ؓ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمُذَانُ. فَقَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمُذَانُ. سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ!» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ!»).

إلا أن الجلوس له الفضل قطعا؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذكر، الذي سبق إيراده أيضا. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يُستحبُّ الذكرُ يُستحبُّ الجلوسُ في حلقِ أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...)) وروينا

في صحيح مسلم عن معاوية ؓ بأنه قال. خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: ما أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: الله ما أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَٰلِكَ؟ قالوا: والله، ما أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَٰلِكَ، قال: أما إني لَم أَستحلفكم نَهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَنَا بِنَبِيِّ جَبْرِيلَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ (42).

هذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللأذكار أن تمد صوتك بالحروف مدا؛ حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو

42 من مقدمة المصنف رحمه الله كتاب الأذكار - الخامسة، دار ابن كثير.

ميتاقل العهد في مسائل التعرف إلى الله
 الثابت في سنة القراءة عند رسول الله ﷺ، فقد
 أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن
 رسول الله ﷺ كان يمد صوته بالقرآن
 مداً⁽⁴³⁾. قال السندي في حاشيته على
 النسائي: (قوله: «يمد صوته مداً» أي يطيل
 الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر
 والتفكير، وتذكير من يذكر)⁽⁴⁴⁾.

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر. وأما مشاهدة المقاصد والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا يمكن أبدا شرحها بعبارات، وإنما يتلقاها المتعلم

43- روه أحمد والنسائي وابن ماجه واحاكم عن أنس وصححه الألباني انظر حديث رقم: 5013 في صحيح الجامع.

44- حاشية السندي على متن النسائي (باب مد الصوت

مقرءة، حديث رقم 1008

ميثاق العهد **في ملكك التعرف إلى الله**
 بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في
 مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانيه للذاكر
 ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن
 هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء الله أن
 تكون ذاكرة، فأتق الله يعلمك الله؛ ويزدك من
 فضله؛ عسى أن تكون من الربانيين، والمُؤدِّين
 السابقين.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله

تجربة:

لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة
آيات وأذكارا نبوية، تكون لك وردا يوميا،
تسلك من خلاله إلى الله تعالى، وتتمهد به قلبك
حتى يدوم على نداوة الإيمان، ويستعين بها على
الترقى بمدارج التعرف إلى الله ذي الجلال؛ فيزداد
إشراقا بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها المحب - مختارات من ذلك، كما صح الإرشادُ إليه عن رسول الله ﷺ، واشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما هو آيات ومنن صحيحة. لكن احذر أن يفوتك

ميتاق العهد في مسالك لعرف في
 ذكر الله بـ (منهج التلقي) - كما شرحناه قبل -
 فسفوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنة وعبارة
 نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك اثر! وإغا
 الذكرُ تذكُرُ. فتدبر ثم أبصر!

الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام

القرآن العظيم كلام الله ذي الجلال. وكفى بذلك حقيقة عظيمة! وكلام الله جل جلاله، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلو من حروفه؛ حرفاً حرفاً! ولا خير فيمن هجر القرآن! وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في ذلك: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول الله.

(1)

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله

وأعطيت مكان الإنجيل الثاني، وقُصِّتْ بالمفصَّل⁽⁴⁵⁾. فهل تقرأ القرآن حقاً؟ تحقق قبل أن تجيب! إن كان لا؛ فحاول أن تقرأه! وجرب!

⁴⁵ - رواه الطبراني والبيهقي في سننه، وصححه الألباني. رواه حديث رقم: 1059 في صحيح الجامع. وما يدل على ذلك، أيضاً قوله ﷺ: (خُفِّفَ على دلوذ القرآن فكان يأخذ به، فنسرج فيقرأ القرآن من قل أن تسرح دوابه! ولا يأكل إلا من عمل يده). رواه البعاري. فهذا الحديث دال على أن الزبور، يمكن كتاباً مطبوعاً، وإنما كان على حجم بعض سور العظيم من (المئين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أعلاه والمئين هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلاً، كما الكهف مثلاً. وبذلك يفهم كيف يكون الزبور مضطرباً عن المسلمين. وهو هنا سماه قرآناً؛ لأن كل كتاب أنزل بالوحي والفراوة يسمى قرآناً، إلا أن خصوص التسمية عند تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

105

مبتدأ العهد في مسالك التعرف إلى الله

إن هذا القرآن سر لطيف، وكثر رباي عجيب، لو تلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجباً! ولأبصرت منه بصائر الكون جميعاً! فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال عز وجل في فاتحة سورة البقرة: ﴿ألم﴾. ذلك الكتاب، أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن. فتنجلي لهم سنن، وتوضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول الله ﷺ في حديث عجيب حق عجيب: أُعْطِيَ مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين،

104

وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن **الْمُتَلَوِّينَ** حَقَّ تِلَاوَتِهِ. **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (البقرة: 121). أدخل باب القرآن متجرداً من كل الأحوال؛ إلا حال الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب! وأبصر في الآيات بصائر الحياة، واقرا ثم اركع واسجد؛ تكن بحول الله من المبصرين!

لمشارك بورد الأذكار؛ فلك أن تجعل ورد القرآن مساءً، أو بليل.

إن قرآن المساء وذِكْرُهُ - كقرآن البكور - له ذوق خاص عند الذاكرين المفردين، كما في كتاب الله. قال عز وجل: **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَذُنُوبَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾** (الأعراف: 205). **الغُدُوُّ** هو البكور من الصباح، أي أول النهار وبدايته. **والآصال**، مفردة: أصيل. وهو كما في كتب اللغة والتفسير: (وقت ما بين العصر إلى الغروب). فهو سويقات آخر النهار، حيث يبرد حر الشمس، وقد أشتها، وتلين أضواؤها؛

تبصرة: في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن المؤمن لا يعيش حياته ارتجالاً. سواء في ذلك عباداته وعاداته. كيف وقد جعل الله علينا فرائضه أوقاتاً؟ **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾** (النساء: 103). ومن هنا كان إرشاد الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها ذات جمال خاص للعبادة والذكر. وقد كانت أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب الله - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن هو لتلك الأوقات جميعاً. لكن لك أن تختار منها حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعاً أفضل من بعض، كما سترى بحول الله. فإن كنت بدأت

وتطول الضلال وتمتد. ولذلك كان من أجمَل أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن راد مساء، فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال عز وجل: **﴿يُوتِ أذنَ اللَّهِ أَن ترفعَ وَيذكرَ فيها اسمُهُ يسبحُ لهُ فيها بالغدوِّ والآصالِ. رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللَّهِ وإقامِ الصلوةِ وإيتاءِ الزكاةِ يخافونَ يوماً تَتقلَّبُ فيه القلوبُ والأنصارُ. يجزيهمُ اللَّهُ أحسنَ ما عملوا ويزيدهمُ من فضلهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (النور: 36-38).

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره، حيث تجتمع

إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال
السيحات! قال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا دَاوُودَ
ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهٗ أَوَّابٌ﴾
(سورة ص: 17-19)، وقال تعالى في ذلك أيضا:
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ
وَالطَّيْرَ﴾ (سبا: 10). ومعنى أوي: سحى!
والأويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع
معه وتردد التسيح بوعيا؛ تسخيرا من الله، لا
بالصدى. لأن الأوبة كالنوبة وزنا ومعنى. فالعشي
أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة، منها أنه وقت
سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد
القهار. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُدُودِ
وَالْأَصَالِ﴾ (الرعد 15).

ومنها أنه وقت الذاكرين المخلصين الذين
يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُصْرِبُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28).

اجعل لك إذن جلسة قرآنية بالمساء تلو
كتاب الله ذاكرا متدبرا. اقرأ فيها وردك من
القرآن العظيم، على ما رقت على نفسك من
الأحزاب والأجزاء، حسب دورة ختمك للقرآن
كل شهر، أو كل أربعين يوما، على حسب

ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة
يحفلون بختم القرآن بمنازلهم. فمن ثابت أن انس
بن مالك ؓ كان إذا ختم القرآن جمع أهله
وولده فدعاهم (46).

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها
على الأحسن - ما بين شهر وأربعين يوما، وذلك
قول رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في كل شهر!
اقرأ في عشرين ليلة! اقرأه في عشرين! اقرأه في
سبع! ولا تزد على ذلك (47). وقال ﷺ أيضا:
اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس

46- أورده الميثمي. بمجموع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم القرآن) وقال. رواه الطبراني ورحاله ثقات. مجمع الزوائد:

الحديث رقم: 11713.

47- متفق عليه.

وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر!
اقرأ في سبع! لا يفقهه من يقرؤه في أقل من
ثلاث (48). ثم قال ﷺ: اقرأ القرآن في
أربعين (49).

48 - رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني
نظر حديث رقم: 1157 في صحيح الجامع.

49 - رواه الترمذي عن ابن عمر. وحسنه الألباني. أخرجه -

رقم: 1154 في صحيح الجامع.

تبصرة في قرآن القيام:

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءاً من ورد القرآن صلاة ليل. وإن نشط سيرك فاجعله كله قياماً! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قَالَ سَأَلْتُهُ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً⁽⁵⁰⁾. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ

متفق عليه

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح: 29). فعجباً لمن يبصر هذا الجمال ولا يلتصق بالركب! عجباً كيف تبطن يا أخي والسير قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أدلجوا عبر منازل السُرَى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعاً وسجوداً، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المفتردين السابقين! قال المصطفى ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ» (آل عمران: 113).

انظر كيف أناروا لياليهم الخضر. ساروا القرآن صلاة ليل! وأخرطوا في حركة سير إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من الحبة أنوار الأشواق، في خلوة القرآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ عامة: «مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِحْنًا. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

سَلَعَةُ اللَّهِ الْجَنَّةُ⁽⁵¹⁾ والإدلاج: هو السير ليل، أو السفر الليلي. من الدَّلَجَةِ: وهي الظلمة. المقصود: طبعاً قيام الليل. شبهه بالإدلاج؛ لما فيه من معنى السفر الروحي، وتخليق النفس في فضاءات السير إلى الله.

فيا أيها السالك المحب! إن كنت صادقاً؛ فأخي جزءاً من ليالك بالقرآن! وخاصة تلكه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه، وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل من وقت الأصيل أو البكور. وفي كل خير.

⁵¹ - رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني. أخرجه حديث

رقم: 6222 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردا عن
الصلاة! وكلما احتلى الإنسان بصلاة النافلة
كانت أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة
من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول الله
ﷺ، وهو حديث عجيب لمثله تشد الرحال! قال
ﷺ: صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس
تعدل صلاته على أعين الناس خمسا
وعشرين! (52)

ولذلك يحسن جعل ورد القرآن كله بليل؛
لأنه أضمن للخلوة مع الله جل جلاله، فهو أفضل

52- رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي رضي الله
عنه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3821 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
من الأصل قطعاً وآخر الليل أفضل من أوله،
كما هو ثابت في السنة. قال ﷺ: إذا مضى
شطر الليل أو ثلثه يترى الله إلى السماء الدنيا
فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع
فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى
ينفجر الصبح (53) ولذلك قال ربنا جل وعلا
بنص القرآن العظيم: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: 6).

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما
تطيق! واشتغل بالأوراد على حسب ظروف
عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرر من
الأوقات ما يعينك على دوام العمل فذلك أفضل.

53- رواه مسلم.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وفي الحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
مَا تُطِيقُونَ! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنْ أَحَبَّ
الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دَوَّومَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ (54) وفي
رواية أخرى صحيحة: اكلفوا من العمل ما
تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب
العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قَلَّ! (55) وأما
الذي يشغل بالحفظ فورده القرآن إنما هو
الاشتغال بحفظه ضبطاً وإتقاناً، والقيام به من
الليل قياماً. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملاً.
وأنشد ينخرط في سلك الختمات الكلية.

54- متفق عليه واللفظ للبخاري.

55- رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر

حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وقد جوز العلماء لمن غلبه النوم قضاء أوراد
القيام صَدَرَ النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: مَنْ نَامَ
عَنْ حَزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ
الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ
اللَّيْلِ (56). لكن لِمَ لا تكون من الذاكرين
السابقين؟ بل لِمَ لا تكون من القانتين؟ بل لِمَ لا
تكون من المقنطين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك
إبليس قوياً وتثبيطاً؟ ثم كيف لا بغد؟ وهذا قول
رسول الله ﷺ يعرض عليك أجراً يمدد بحر الغيب
مدداً..! يقول ﷺ: من قام بعشر آيات لم يكتب

56- رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين!
ومن قام بألف آية كتب من المقتطرين! (57)

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر -
ولا تكن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلاً
ست آيات، وسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد﴾
أربع آيات، فتلك عشر! لكن أحسن تدبرها
وأحسن ركوعها وسجودها! فقد قال ﷺ:
أيعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟
إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله
أحد" جزءاً من أجزاء القرآن (58). وإن أنعم الله

57- رواه أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6439 في صحيح الجامع
58- رواه مسلم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
عليك يا سالك بمحبته، ومن عليك بإقبال عزمة
العبد، وانتهاضها للسير الدائم إليه، المشتاق إلى
نور جماله وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن
ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تنفلك
في قبرك، فتكون لك فيه حصناً من عذابه
- عافانا الله وإياك من عذابه - إنها سورة الملك!
أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر
كما في الأحاديث الصحاح، ولهذا فسمى أيضاً
بـ (المانعة). قال رسول الله ﷺ: سورة تبارك
هي المانعة من عذاب القبر (59). وقال أيضاً:
إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل

59- رواه ابن ماجة عن ابن مسعود. وصححه الألباني.
انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
حتى غفر له! وهي: "تبارك الذي بيده الملك" (60).
ومثله قوله ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا
ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته
الجنة! وهي تبارك (61).

ولسك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف
خاصة (62)؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة

60- رواه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة.
وقال الألباني: حديث حسن. انظر حديث رقم: 2091 في
صحيح الجامع.

61- رواه الطبراني في الأوسط والضعاء عن أنس. وحسنه
الألباني. حديث رقم: 3644 في صحيح الجامع.

62- بشرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛
لأن النبي ﷺ عن ذلك، قال: (لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن
يكون في صوم يصومه أحدكم) رواه مسلم. فإن كان في قيام

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لمن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالعداء. فقد
قال ﷺ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛
أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق! (63).
ومثله قوله ﷺ: من قرأ سورة الكهف في يوم
الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين! (64).
قال ابن حجر في أماليه مبيناً ذلك: (المراد: اليوم

يقوم يومها، أو يوماً بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة
أعلاه، ولما هو مفهوم من حديث النبي هذا.

63- رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم
بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم:
6471.

64- رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في
صحيح الجامع رقم: 6470.

بليته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل صلاة التواقل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا تململه ولا تمجره! بل اشتغل به ذكرا بالنهار، وقياما من الليل، ثم تدبرا وتفكرا في كل حين! اجعله زاد طريقك، وصاحب سفارك، وخليل خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر ان تصيبك شكوى رسول الله ﷺ بما حكاها الله في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

في الزمان والمكان، لا نصوصا تتلى فقط، ولا قصصا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها الإنسان عَمَلًا. ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105). والإسلام لما بين بلاغاته للناس؛ بين لهم فيما بين - وسائل الوصول إليها، وطرائق اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملا، ولكل عمل بابا، ولكل باب مفتاحا.

الفصل الرابع: في عهد البلاغ

وهذا عهد فصلناه في كتبنا (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز شديد، لكمال التطبيق وشمول التحقيق لميثاق العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد العمل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السكون في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصححين بحول الله. فيخرج بذلك من القول إلى العمل، إذ لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقا في حياة الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية

تبصرة في المفاتيح الثلاثة:

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها، نسكها في العبارات التالية:

- 1- اغتنام المجالس
- 2- والتزام الرباطات
- 3- وتبليغ الرسالات

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالس. وهو أن تحرص على (مجالس القرآن)، قصد التعرف إلى الله والتعريف به، والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ والتحلم بحلمه. (ومجالس القرآن) هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أنها

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
محبوبة عند الله، مذكورة في ملكه الأعلى، تشهدها
الملائكة؛ وتزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة،
ويذكرها الله فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها
في تربية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح.
وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غش فيها
ولا غبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة
بالمعنى، عبر الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر
منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة
مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والذي فيه: «ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه
بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تعجيداً،
وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فما يسألوني؟
فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟
فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف
لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد
عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.
قال: فممن يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول
الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما
رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو
رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.
فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم! فيقول ملك
من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن
عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه⁽⁶⁵⁾.
وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو
هريرة أيضاً، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: إن الله
ملائكة سياحين في الأرض، فضلاً عن كتاب
الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر،
فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى
حاجاتكم! فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا،
فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟
فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك
وعجلدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله
ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
حاجة! فيقول: هم الجلوساء لا ينفعني من
جليسهم!⁽⁶⁶⁾ والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.
ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف
التالية:

أ- الاشتغال بالله تعرفاً وتعريفاً

ب - الاشتغال بالقرآن تبصراً وتبصيراً

ج- الاشتغال بالشمال الحمدية تخلقاً
وتخليقاً.

الخطوة الثانية: التزام الرباطات.
وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات، قصد
شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

فالمقصود بـ (الرباطات) إذن: بيوت الله،
حيثما كانت. ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِّنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُوسِ وَالْآصِلِ
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾ (النور: 36-38). ذلك ما سماه رسول
الله ﷺ بـ (الرباط)، في الحديث الصحيح الذي
قال فيه ﷺ: ألا أدلكم على ما يحو الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول
الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة
الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

يعلمك ويصلح لك، كما كان يصلح صلاة
المسيء صلاته، بما ورد في الحديث الصحيح: عن
أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد.
فدخل رجل فصلى. ثم جاء فسلم على رسول الله
ﷺ. فسر رسول الله ﷺ. قال: ارجع فصل
فإنك لم تصل! فرجع الرجل فصلى كما كان
صلى. ثم جاء إلى النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ:
"وعليك السلام" ثم قال: ارجع فصل فإنك لم
تصل! حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال
الرجل: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غير هذا!
علمني! قال ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبر.
ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. ثم اركع حتى
تطمئن رأكعاً. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً. ثم اسجد

فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم
الرباط! ⁶⁷ فتدبر... ثم أبصر!

ثم اجتهد أيها السائر الخب، والفقي المربط:
لتكون صلاتك صلاة حقاً. واحذر عليها من
شئين: نقر الغراب، وشروء البال. فإنما المربط
من رباط بقلبه ووجدانه، لا يبدنه فقط وإنما غاية
الرباط صلاح الصلاة، وإقامتها حق إقامتها فإذا
فسدت كان ذلك مضية للأعمار وسبيلاً إلى
النار! نعوذ بالله منها! فاجعل رباطك قضاء
لعمران الصلاة. ابنها بناءً في قلبك ووجدانك،
كما سبني حياتك لحظة لحظة، وحركة حركة!
واجعل نصب عينيك معلمك رسول الله ﷺ

⁶⁷ - رواد مالك في موطئه ومسلم في صحيحه.

حتى تطمئن ساجداً. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً
ثم افعل ذلك في صلاتك كلها ⁶⁸

وقد ورد هذا الحديث بيان عجب في
حديث آخر، فيه دلالة لطيفة على طلب
الاطمئنان البدني والنفسي والاسترخاء. عني.
بما يكفل هدوء المصلي، وسكينته، ومروءته
الوجدانية. وذلك قوله ﷺ: إنه لا تتم صلاة
أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله.
فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه،
ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله، ويحمده ويمجده،
ويقرأ ما تيسر من القرآن بما علمه الله، وأذن له

⁶⁸ - متفق عليه.

فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه، ويركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي..! ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائما حتى يأخذ كل عظم مأخذه، وقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد، فيمكن جهته من الأرض، حتى تطمئن مفاصله وتسترخي! ثم يكبر فيرفع رأسه، فيستوي قاعدا على مقعده، فيقيم صلبه، ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه ويسترخي! لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك! (69).

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة: صل! فإنك لم تصل! وأنى لك أن تصلي في يوم

(69) - رواه أبو ذؤود والنسائي وابن ماجه وأحمد. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. 2420

انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 88-89).

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام القطيعة بينك وبين عالم المنكرات، وظلام الكيثر والموبقات. إن التزمته حقا كان لك حصا حصينا من الانحراف والضياغ، وسدا منيعا دون التردى والسقوط. وذلك قول الله عز وجل الصريح المليح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45). فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام باللاعات. والدعوة إلى الخيرات.

تبصرة: كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خير) هذا الدين. فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة الإسلامية، على الجملة. ثم إنما المقصود بمشروعنا هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي لأن فيه الدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى إيبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله سبحانه في قوله: ﴿وَوَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (الأعراف: 198)، وقوله سبحانه:

وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف

البلاغ؟)

أما تفاصيله فقد سبق تقريره بقواعده، في تبصرة البلاغ الخامس، من كتبنا (بلاغ الرسالة القرآنية).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
﴿وَكَايْنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: 105).
فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ
(التبصير)، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة
القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن
العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف
الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات وحفظ
الأوقاف، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع
السنة: تركية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله
في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل،
لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتَعَرِّفًا وَمُعَرِّفًا.

حيثما العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك
الرئيسية، لسير العبد إلى الله في طريق التبصير
والتبصير.

الفصل الخامس: في المختار من الأذكار

وهو أقسام:

أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (70). آمين.

70- فضل سورة الفاتحة — عند من يصورها — لا يُداني في

القرآن، ولا قوة، سبعة من كتبها ويكفونها، سورة.

الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْم﴾ ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

المسماة (أم القرآن) وهي التي امتن الله بها على خليله المصطفى
محمد ﷺ في قوله تعالى: (وَوَقَدْ آتَيْنَاكَ مَتَّعًا مِّنَ النَّسَائِ وَالْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ) (الحجر: 87). ولذلك قال النبي ﷺ (أم القرآن هي:
السجدة المشائية والقرآن العظيم) رواه البخاري. وأوضح منه قوله
ﷺ (رواه البخاري) (أي ما أنزل في القرآن ولا في الإنجيل
ولا في الزبور ولا في الفرقان مثبها وإنما نزع من الثاني
والثالث العظيم الذي أعطاهما) رواه أحمد والترمذي عن أبي
هريرة. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 7079 في صحيح
الجامع

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 1-5) (71)

71- وعن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن عباس -
(من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيته لم يدخل ذلك
البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أوها واد
انكرسي، وآيتين بعدها وخواتيمها) رواه الترمذي. وهذا
المعنى (ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من
ابن عباس) مجمع الرواة، الحديث رقم: 1013. وهذا
ذلك أحاديث أصح. وفضلا عن أنه قرآن متعبد بتلاوته، فقد
صح خصوص الذكر بذلك في أحاديث متناثرة منها ما رواه
مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (يبدأ جبريل قائما
عند النبي ﷺ مع نقيضاً من فوقه فرقع رأسه فقال: هذا باب
من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل من فوقه
فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، مسلم
وقال: أبشر بورين أو تينهما لم يؤلحما نبي قبلك: فاتحة الكتاب.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ. وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ﴾ (72)

وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) يعني
ما ورد فيهما من الدعاء. رواه مسلم.

72 - لقد أقر النبي ﷺ ما سمعه أبو هريرة عن جده بليل إذا قال
له: (إذا أويت إلى فراشك، فاقرا آية الكرسي من أولها حتى
تختم: "لا إله إلا هو الحي القيوم". وقال لي: لن يزال عليك
من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) رواه البخاري.
وقال ﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ. فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا. وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ. يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة
255-257).

﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَإِن
تُبَدَّلُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوِ تَكْفُرُوا يُحَاسِبَكُمْ اللَّهُ

من دعوى الجنة إلا أن يموت). رواه النسائي وابن حبان عن أبي
إمامة، بحسن لأبواب (صحيح) انظر حديث رقم: 1013 في
صحيح الجامع.

فَيَقْبِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلُّ آمَرَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكُمْ وَكُتِبَ وَرُسُلُهُ. لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْغَفُورُ. لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. (البقرة: 284-286) (73).

73- هل تدري ما عوالتهم البقرة؟ إنما آيات تلفاعا رسول الله ﷺ وحيا في السماء ليلة الإسراء والمعراج! ففي صحيح مسلم عن

عبد الله قال: (لَمَّا أُسْرِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّهَيَّأَ بِهِ إِلَى سَفَرِهِ الْخَاتَمِيِّ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ. إِشْبَهَ بِتَهَيُّي مَا فِي الْأَرْضِ. فَيَقْبِضُ مِنْهَا. وَإِنَّهَا بَتَهَيَّ مَا يُقْبِضُ بِهِ مِنْ مَوَاقِفِهَا فَيَقْبِضُ مِنْهَا. قَالَ: إِذْ يَقْبِضُ السَّادِرَةَ مَا يَقْبِضُ) (الحج: 16) قَالَ: فَرَأَيْتَ مِنْ ذَنْبٍ. قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ أَعْطَا الْعَشَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَعْطَى حَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَهُوَ تَعْبُدُ بِشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا مُفْجِحَاتٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهُوَ تَعْبُدُ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِهَا؟ تَذَكَّرْ إِذْ هَذِهِ الْخَدِيثُ:

الأول. قول رسول الله ﷺ: (أَعْطَيْتُ هَذِهِ آيَاتٍ مِنْ أَحَدِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ مِنْ كَثَرِ تَحْتِ الْعَرْشِ، لَمْ يَعْطَاهَا نَبِيٌّ قَبْلِي) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمَةَ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي وَصْحَةَ الْأَبْيَانِيِّ. انظر حديث رقم: 1060 في صحيح الجامع والثاني: قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَمْرٍ عَامٍ وَهُوَ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَإِنَّ أَوَّلَ آيَاتِهِنَّ عَسَمَ بِمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي دَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَأُ الشَّيْطَانُ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمَةَ. عَنِ الْعَمَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (أَلَمْ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران: 1-6) (74).

بن بشر. وصححه لأباني انظر حديث رقم: 1799 في صحيح الجامع

74- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن: في البقرة، وآل عمران، وطه)

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا. وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ

رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم وصححه الألباني. حديث رقم: 979 في صحيح الجامع

وقال أيضا: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) (البقرة: 163) ورواه آل عمران: (أَلَمْ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). رَوَاهُ أَحْمَدُ. دَاوُدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِيُّ. انظر حديث رقم: 980 في صحيح الجامع.

لِيَقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 60-61) (75).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (الأنعام: 164-165).

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قِيمًا

75- هذه الآية أصل عظيم في التعرف بالله تعالى وتوحيده. فقد
قال البحاري في صحيحه: (باب "وعده مفاتيح العيب لا
يعلمها إلا هو" ...) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول
الله ﷺ قال: مفاتيح العيب خمس: "إن الله عنده علم الساعة
ويزل العيث ويعلم ما في لأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير" (درواه
البحاري).

لِيُنْذِرَ نَاسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ. وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كُنْتُمْ
فِيهِ أَبَدًا. وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَنَاتِهِمْ. كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٍ
نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنُبَيِّنَ
لَهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا. وَإِنَّا لَنَجَاعِلُنَّ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا
جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ
فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرٍ
رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لَنَا

قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. وَقُلْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ
سُرَادِقُهَا. وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثَرُوا فِيهَا كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهَ. بئس الشراب وساءت مُرَتَقًا﴾ (الكهف: 28-29).

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي مَعْصٍ
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَهْنِيهِمْ فِي
عِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا.
أَلْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ
دُونِي أَوْلِيَاءَ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا. قُلْ
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ

لِبُحُورِ الْأَمْدَاءِ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ. إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا
ضَطَاطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً. لَوْ كُنَّا
يَانُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ سَنَ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهَ. فَاتَّوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾. (الكهف:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تَرْيَدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَلَا تَطْعُمْ مِمَّنْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ.
فَخَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا.
ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي
وَرُسُلِي هُزُؤًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. قُلْ لَوْ كَانَ الْحَرُّ مَدَاذًا
لَكَلِمَاتٍ رَبِّي لَنَفَذَ الْعَذْرَ قَبْلَ أَنْ نَقْدَ كَلِمَاتٍ
رَبِّي. وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدْدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (76) (الكهف: 99-110).
النهاية.

76- سورة الكهف عظمة الفضل جدًا وقد ورد في فضيلته
وفي فضل أوليائها، وأجرها، أحدثت بحمد الله تعالى
(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من سهو
الدجال) رواه مسلم. وفي رواية عنه: (من أجز الكهف)
ومن ذلك أيضا أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وحده من
فتنه قال ﷺ: (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فاتحة سورة
الكهف) رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: (يا أيها الناس! إذا لم
تكن فتنة على وجه الأرض - منذ ذرأ الله ذرية آدم - أعظم
من فتنة الدجال وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حبر أمته
الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو حرج
لا محالة ...) وإن من فتنة أن معه حنة وتاديب عليه حنة
وحدود. رواه ابن أبي شيبة في مسنده (الكهف: 99-110)
الكهف) رواه ابن ماجه، ورواه ترمذي، ورواه
وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7875.

وهي سورة تتول الملائكة على قلوبها رحمة وسكينة! فعن
البراء: قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، ويحذره قرآن مربوط
بسطون [أي: عشرين]. ففتنته سحابة، فحطت ثوبه وتذو
وحمل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك
له فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن» متفق عليه. وقد
وردت هذه القصة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سعيد
الخضري رضي الله عنه أن أسد بن حضير رضي الله عنه، بينما
هو نيلة يقرأ في مريده، إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت
أخرى! فقرأ، ثم جالت أيضا قال أمية: فخشيت أن تطأ
بحملي. [يعني ابنه الصغير] فقامت إليها، فإذا مثل الظلة فوق
أبي، فيها أنثى انسرجا [ج. سراج، وهي المصايح] عرجت
في الحو حتى ما أراها! قل ففتنت علي رسول الله ﷺ،
فقلت: يا رسول الله بينما أنا التارحة من خوف البيل أقرأ في
مريدي، إذ جالت فرسي! فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن
حضير! قال: فقرأت، ثم جالت أيضا! فقال رسول الله ﷺ:
«اقرأ ابن حضير! قال: فقرأت، ثم جالت أيضا! فقال رسول

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ

الله ﷻ: «اقرأ ابن حضير! قال: فالصرت. وكان يختم قريبا
منها: خشيت أن تطأ. قرأت مثل الظلة. فيها أنثى! أ
عرجت في الحو حتى ما أراها! فقال رسول الله ﷻ: «تلك
أنثى كانت تستمع لك! وتو قرأت أصبحت تراها الناس،
ما تستر منهم!» رواه مسلم

وقد صح فضل قراءتها من يوم الجمعة، في غدا أو للثلاثاء.
ﷻ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له نور ما بين
بين وبين العقب) رواه البيهقي في السنن، ورواه
ورواه الحاكم بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح
الجامع، رقم: 6471. ومثله قوله ﷻ أيضا: (من قرأ سورة
الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين) رواه
الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع
رقم: 6470.

وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. (سجدة: (الحج: 18))
 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْلَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ. الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي ثُبُوتِ آدَنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ

أَحْسَنَ مَا عَمَلُوا وَيَرْيَدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ بِرُوحٍ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. (النور: 35-37))
 ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِغْنَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. (لقمان: 27-30))
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدْ تُمَتَّعَتْ لِعَدِّهِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ. لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (الحشر: 18-24)) (77)
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (78)

77- يقول الله جل جلاله. (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: 180). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائة غير متناهية لا يحصها أحد إلا دخل الجنة. وهو وتر يحب الوتر) وفي رواية أخرى من الصحيح: (من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه

78- قال ﷺ: (إِذَا أَحَدُكُمْ مَضَحَّكَ مِنْ اللَّيْلِ فَأَقْرَأْ: اُنْفِلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" ثم سمى على عاقبتها فلما براءة من الشرك). رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه البيهقي عن يونس بن

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ.
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا
حَسَدَ﴾. (ثلاث مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

معاوية، كما رواه السائي والبغوي، ومن قانع وانضياء عن
حديثه من حارثته، وحسن الأساني، انظر حديث رقم 292 في
صحيح الجامع.

الْخَنَاسِ. الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. (ثلاث مرات)⁽⁷⁹⁾.

⁷⁹- قال النووي في كتاب الأذكار: (ورويها في سنن أبي داود
والترمذي والسائي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة، عن عبد الله
بن حبيب - يضمن الحفاء المنعومة - رضي الله عنه قال: خرجنا
في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب النبي ﷺ، فوجدناه
فأدركناه، فقال ﷺ: قُلْ! فلم أقُل شيئاً، ثم قال: قُلْ! فقلت: لا
شيء، ثم قال: قُلْ! فقلت: يا رسول الله! ما أقول؟ قال: قُلْ: لا
إله إلا الله، وأعوذ بك من كل شيء، حينئذ لم يبق مني شيء، ثم
سألت: تكفبك من كل شيء؟ قال الترمذي: حديث حسن
صحيح.

استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم،
وأتوب إليه. (ثلاثاً)⁽⁸¹⁾.

استغفار

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا
عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ،
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِعِزَّتِكَ
عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ⁽⁸⁰⁾.

⁸⁰- وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه،
عن النبي ﷺ قال: "سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ... إلخ (كما هو مذكور أعلاه) فقال ﷺ
بعدها: مَنْ قَامَ بِالنَّهَارِ مُوقِنًا بِمَا فَتَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُعْسَى
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَامَ بِهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِمَا فَتَاتَ
قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

⁸¹- يمكن من له متسع من الوقت أن يبلغ بها المائة أو عدة
أر مئة مرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:
"مَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَأَتُوبَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مِائَةً
اسْتَغْفَرَ اللَّهُ لَهُ" وقال ﷺ: (استغفروا ربكم، فإن استغفر الله وأتوب
إليه كل يوم مائة مرة). رواه البغوي، وصححه الألباني، انظر
حديث رقم: 944 في صحيح الجامع. وقال ﷺ: (إن
عسى عليّ فلي، وإن استغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ
فَانِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبَ إِلَيْهِ
عَفَرْتُ ذَنْبِي وَإِنْ كَادَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْمَةِ) رواه أبو داود
، الترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري
ومسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني أيضاً في صحيح
الترمذي. 172/3.

تسبيح و تهليل

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضي

نفسه، وزنه عرشه، ومداد كلماته (ثلاث
مرات) (82)

82- عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن
النبي ﷺ وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي
في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي حائسة، فقال ﷺ (ما
رلت علي أخلال لي فارقتك عليها؟) قالت: نعم. فقال النبي:
(لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت
منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضي
نفسه وزنه عرشه ومداد كلماته" رواه مسلم

الله أكبر كثيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان
الله بكرة وأصيلاً (ثلاثاً) (83)

83- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، تلك أربعة أمور من
الذكر متواترة عن رسول الله ﷺ، وذلك من خلال
كثيرة، منها قوله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول: سبحان
الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ،
طلعت علي الشمس) (رواه مسلم). وقوله ﷺ: (يسبح علي
كل مسلمي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل
تحميدة صدقة، وكل قلبية صدقة، وكل تكبيرة صدقة،
والمعروف صدقة، ولهي عن السكر صدقة، ويجزي من ذلك
ركعتان تركعهما من الصبح) رواه مسلم. وروى أيضاً عن
النبي ﷺ أنه قال: (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله،
والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. إنما من أربع فلا يزيد
عليّ) رواه مسلم. وقال رسول الله ﷺ في ذلك أيضاً (حب
إبراهيم) ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمك من
السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها بستان،
وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله
أكبر) (رواه الترمذي وقال حديث حسن)

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله
الحمد، وهو على كل شيء قدير (عشر
مرات) (84)

وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً. أعوذ بالله من الفقر، من
نقصه ونقصته ونقصه. رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، و
حيات، والضرياني في الكبير.

84- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من قال لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل
شيء قدير" في يوم مائة مرة؛ كانت له عدل عشر
وكتب له مائة حسنة، وغفرت عنه مائة سيئة، وكانت له حر
من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي؛ ولم يأت أحد، ما ينفع
جاء به؛ إلا أخذ عمل أحداً من ذلك) متفق عليه.

ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: (كَمَثَلِ خَنَافَتَيْنِ عَمِيَ
لِسَانُ، فُتِبَتَانِ فِي الْبَيْزِ، خَيْبَانِ إِلَى الرَّخْمِ: "سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" متفق عليه. ويمكن لك أن تبع
في الذكر بما عدد المائة للحديث الصحيح من قول النبي ﷺ:
(أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح لله مائة
تسبيحة؛ فيكتب الله له بها ألف حسنة! ويحط عنه بها ألف
خطيئة!) (رواه مسلم). ومثله أيضاً قوله ﷺ: (من قال: "سبحان
الله وبحمده" في يوم مائة مرة؛ حُطَّتْ خطيئته، وإن كانت مثل
زبد البحر!) (متفق عليه).

وأما الصيغة المختارة أعلاه فللحديث الصحيح الذي رواه
ابن عمر قال رضي الله عنهما: «بَيَّنَّا لِحَنٍّ لِنُصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لَهُ كَثِيرًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ الْقَائِلُ كَذَا
وَكَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا
فُضِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ! قَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا تَرَكُوهَن مَتَدُّ
سَبِّحْتُهُن مِّنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رواه مسلم.

ابن جرير بن مفضل (أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي
صلاة. فقال: الله أكبر كثيراً، الله أكبر كثيراً، الله أكبر كثيراً،
والحمد لله كثيراً، والحمد لله كثيراً، والحمد لله كثيراً.

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد (عشر مرات) (85).

85- هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة شيخ في الصحيحين وفي غيرها. منها ما أخرجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سمعت كعب بن عجرة فقال: ألا أهدى لكم هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ قلت: بلى. فأهدىني: فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمت كيف تسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... إلخ) متفق عليه.

ولك أن تختصرها - إن شئت - هكذا:

وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جداً... خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة... قوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر) (رواه مسلم) وقوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجة) (رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والمسند، وصححه الألباني). انظر حديث رقم: 6359 في صحيح الجامع وفوائده ﷺ: (كل دعاء محبوب حتى يُصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وآل محمد) (رواه الألباني في مسند الأئمة عن أنس، كما رواه البيهقي عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني). انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع. وقال أحمدي في مجمع الزوائد، عن الرواية الموقوفة على عبيد رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

دعاء الصباح والمساء

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهذاه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده (86). اللهم بك أصبحنا،

86- هذا الدعاء مراكب من حديثين، الأول: رواه... مسعود رضي الله عنه قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أُمي قال: أصبحنا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له... إلخ) إلى أن قال: "وإذا أصبح قل ذلك أيضاً. أصبحنا وأصبح الملك لله" رواه مسلم.

(اللهم صل وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعبيد، وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد). (عشرا)

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك
المصير⁽⁸⁷⁾. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة

والثاني: رواه أبو داود قال: قال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم
فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم أي أسألك
خير هذا اليوم... إلخ، إلى أن قال: (ثم إذا أمسى فليقل مثل
ذلك) وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 352 في صحيح
الجامع.

⁸⁷ - وقال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم فسفل: اللهم بك أصبحنا
وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى
فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت
وإليك النشور) رواه الترمذي عن أبي هريرة. وحسنه الألباني
في صحيح الجامع صغير. انظر حديث رقم: 353

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أينا إبراهيم
حنيفا مسلما، وما كان من المشركين⁽⁸⁸⁾.

ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت
من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة
المسلمين

ثم تحتم بقولك: (سبحانك اللهم وبحمدك.
أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب
إليك)⁽⁸⁹⁾.

⁸⁸ - كان [النبي ﷺ] إذا أصبح وإذا أمسى قال: "أصبحنا على
فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص... إلخ" رواه أحمد والطبراني،
ومصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4674 في صحيح الجامع

⁸⁹ - قال ﷺ: (كفارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك اسمع
وعمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك،

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ولم يكن ذلك آخر كلامك بذلك المجلس.
فتقوم إلى صالح أعمالك الأخرى، من أمور دينك
ودنيائك، بنية التوبة والطاعة.

استغفرك وأتوب إليك.) رواه الطبراني عن ابن عمرو، وعن ابن
مسعود. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4487 في صحيح
الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: (فإن قلما في
جلس ذكرك كانت كالمطالع يطبع عليه! ومن قلما في مجلس لغو
كانت كفارة له!) رواه النسائي والحاكم عن جابر بن مطعم،
وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: 6430 في صحيح
الجامع

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة

ولا تنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة:
فإن المسلم يحفظُ بها ويُسدِّدُ: الأول دعاء
الخروج من المنزل، والثاني: دعاء النوم، والثالث
دعاء الاستيقاظ من النوم.

فأما دعاء الخروج: فهو قول النبي ﷺ: باسم
الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل، أو نصل، أو
نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا!⁽⁹⁰⁾

⁹⁰ - هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين: أوغما، قول النبي
ﷺ: (مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - "باسم الله، تَوَكَّلْتُ
عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"؛ يُقَالُ لَهُ: كُتِبَتْ وَفُتَتْ.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي -: باسمك ربي وضعت جنبي وبك

وَعُدَيْتَ، وَتَحْيَى عَنْهُ الشَّيْطَانُ" قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ زَادَ أَبُو دَاوُدَ فِي رَوَاتِهِ "فَيَقُولُ - بَعْنِ الشَّيْطَانِ لِشَيْطَانٍ آخَرَ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُبِيَ وَكُنِيَ وَوُقِيَ؟" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: رَقْمٌ 499.

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه ﷺ (كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله، توكلت على الله. اللهم إنا عوذ بك من أن نزل أو نضل أو نضل أو نضل، أو نضل أو نضل علينا)) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح إمام، رقم: 4708.

182

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

تیسرے: فی براق الأورام

وهو الورد الصامت! يطير بك سرّاً في
سبحات الروح! يطير بك عالياً، عالياً جداً! ثم..
سويغات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل
الله وخاصته، سبحانه جلّ علاه!

وأي وزد أصدق على هذا المعنى من الصوم؟
ذلك هو بُراق الأوراد، ورافدها المتدفق على
الوجدان بصمت!

تعددت السوافل وتشابكت في الخيرات،
وتَفَرَّدَ الصومُ بِسِرِّ الانتساب الخالص إلى الله!
وإذا بالعبد الصائم يدخل في مقام من مقامات
العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة
بحساب! مقام (عبد الله) المخلص المخلص! الذي

184

ميثاق العهد _____ في مسالك العرب الى الله

أرفعها، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسدتها
 لأخبطها بما تحفظ به عبادك الصالحين (91)

وأما دعاء الاستيقاظ من النوم، فهو:
الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه
النشور (92).

٩١- قال النبي ﷺ: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليتقنه بإحالة إزاره) فإنه لا يدري ما خلفه عليه. ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: يا سمك ربى وضعت جنينى، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها، لا تحط به عبادك الصالحين) (اتفق عليه).

92- أصرح الشيخان أنه **إذا أخذ مضجعه من الليل**
 ووضع يده تحت عنقه، ثم يقول : **باسمك اللهم أحبا وباسمك**
أسوت. وإذا استيقظ قال : **الحمد لله الذي أحبا بعد ما أمنا**
إليه الشور) متفق عليه.

183

ميثاق العهد : في مسالك التعرف الى الله

أخلص الله حق صفاء؛ فأخلصه الله إليه؛ فكان من
المخلصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق
غيب لا طاقة لأحد من الخلق على سبر أغواره.
فتولى الله جل جلاله لذلك إحصاء تلك المعاني، في
صحيفة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، مما
لا دراية لأحد من الملائكة الكتابة به! ⁽⁹³⁾ ولذلك
قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث
القدسِي: كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة
بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف! إلى ما شاء الله!

93- قال الإمام عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير: عند شرح هذا الحديث: (وَأَنَا أَجْزِي بِهِ صَاحِبَهُ جِزَاءً كَثْرًا وَأَكْبَرُ الْجِزَاءِ عَلَيْهِ بِنَفْسِي، فَلَا أَكُلُهُ إِلَى مَنْتِ مَقْرَبٍ، وَلَا عِيَهُ، لَا سُرِّيَّيْنِ وَبَيْنَ عَيْدِي، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ غَيْرِي) ص: 171.

185

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
قال الله عز وجل: {إِذَا صُمُوا فَذُكِّرُوا} فإنه لي وأنا أجزي
به! يَدْعُ شهوته وطعامه من أجلي! (94).

فإن تكون من (الصائمين) حقاً، معناه: أن
تكون لله وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع
الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب
المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى
قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما
يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت
عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى
أحبه! فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،
وبصره الذي يبصر به، ويذره التي يبطل بها،

94- رواه مسلم

186

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ورجله التي يمشي بها، وإن سألتني أعطيتها، ولن
استعاذني لأعيذته! (95).

النوافل شق.. نعم؛ لكن أصفها مودداً،
وأخلصها مسلكاً، وأقربها طريقاً موصلة إلى ذلك
المقام: هو الصوم! فهو بُرَاقُ الأوراد، أو الورد
الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال!
إنه طريق سيار سريع؛ فلا تنس حظك منه! فأيامه
لحظات تخلص من الدنيا! تقضي الدنيا وتغنى..
وتبقى أيامه ضحى تمتد في الزمن الخالد!
الصوم، نعم؛ لكن هل أنت تعرفه؟ فتعرف
عليه أولاً! إنه تاج النوافل وزيتها، ومُحْ
اسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك

95- رواه البخاري

187

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي
البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟
وإنما الصوم: ما تحقق لك به الذكر، وإلا
فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات النبوة
هذه، وتذبر؛ ثم أبصر! قال رسول الله ﷺ: رُبُّ
صائم خَطْلَةٌ من صيامه الجوعُ والعطش! (96).

كيف الصوم الذي به يكون الذكر إذن؟
هذه آية من بصائر الصوم في طريق
الصائمين؛ لإدراك منبع الحكمة، والتعرف على
سر تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصرها ببال!

96- رواه الطبراني عن ابن عمر، ورواه أحمد، والحاكم،
والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع،
رقم: 3490.

188

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
قال تعالى مخاطباً السيدة الكاملة، مريم الصديقة:
﴿فَإِذَا تَسَمَّيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: 26).
هكذا: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ : صمت مطلق
وقطعية تامة مع كل متكلم من الناس! نعم؛ ذلك
حُكْمٌ من أحكام (شروع من قبلنا) هـ مسبوحة
بشريعتنا (97)، نعم؛ ولكن الحكمة ما كانت لتُسخ
أبداً! وقد يُنسخ الحكم وتبقى مقاصده ثابتة،
مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه.
وإليك البيان!

97- قال ﷺ: (لا صُفَاتُ يومٍ إلى الليل!) رواه أبو داود،
وصححه الألباني رقم: 7609 في صحيح الجامع.

189

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لقد كان الصوم — ولم يزل في شريعتنا —
انقطاعاً وبتلاً إلى الله جل وعلا. إنه اشتغال به
وحده دون سواه؛ ولذلك تُؤخَّفُ كل طاقات
الجسم والنفس معا في العبادة؛ والتوجه إلى الله،
بحيث لا تشغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛
حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن وتنقطع النفس
عن كل كلام من اللغو والصخب والرفث⁽⁹⁸⁾؛
حتى تصفو الكلمات بالفهم طيباً من الذكر، أو مما
يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش
المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها لله!
ويكون الصائم إذن صامتاً عن كل منازع

⁹⁸ اصحح: اصحح، اصحح، والرفث: فاحش الكلام
ومناقضه.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الصيام من الأكل والشرب؛ إنما الصيام من اللغو
والرفث؛ فإن سأتك أحد، أو جهل عليك؛ فقل:
إني صائم! إني صائم!⁽¹⁰¹⁾ إني صائم: بمعنى إني
منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطع أكلاً
وشرباً وشهوةً، ومنقطع خطرَةً وفكرةً وعبارَةً،
ومنقطع جسماً ونفساً! فلم يبق مني شيء غير
الله! إني صائم! ويجمع ذلك كله حديثُ الرسول
ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي،
قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: كل
عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي

¹⁰¹ رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة، وصححه الألباني
رقم: 5376 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عبد الله به،
أو عخدم ذلك أصالة أو تبعاً تحقيقاً لحكمة النبوة
العظمى، إذ قال ﷺ في بعض وصاياه: (عليك
بحسن الخلق وطول الصمت؛ فوالذي نفسي بيده
ما تجمل الخلاق بمثلهما!)⁽⁹⁹⁾ وصح من شأنه،
عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت
قليل الضحك!)⁽¹⁰⁰⁾ ذلك سمّت المنقطعين إلى
الله، من الأنبياء والصديقين. ولا شك أن من
مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق
ذلك المقام. ولذلك قال رسول الله ﷺ: (ليس

⁹⁹ رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب
الإيمان، وحسنه الألباني، رقم: 4048 في صحيح الجامع
¹⁰⁰ رواه أحمد وأحمد وحسنه الألباني، رقم: 4822 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
به! والصيام جُنَّةٌ!⁽¹⁰²⁾ وإذا كان يوم صوم
أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابه أحد
أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس
محمد بيده! لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ⁽¹⁰³⁾ عند الله
أطيب من ريح المسك!⁽¹⁰⁴⁾ إنه انقطاع عن كل
صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل
جدل عقيم أو مراء يجر إلى ذلك، وانقطاع عن
كل ما يمهّد أو يُذكّر بالشهوات! ومن كان لله لم
يكن لغيره! حال من الصمت - طيلة اليوم - عن
كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال

¹⁰² - جُنَّة: أي وقاية

¹⁰³ - الخُلُوف: الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان.

سبب الجوع والعطش!

¹⁰⁴ - متفق عليه

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 من الاستسلام الكلي لله رب العالمين. حال من
 التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس
 في حركة السير إلى الله. فأَيِ ذِكْرٍ أَذْكَرُ من هذا،
 وأي فِكْرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟
 فليس عجباً أن يخصّص الرب الكريم
 للصائمين - وللصائمين فقط - باباً من أبواب
 الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: إن في الجنة
 باباً يقال له: الرِّيَّانُ، يدخل منه الصائمون يوم
 القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين
 الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا
 أغلق فلم يدخل منه أحد! (105).

105 - متفق عليه.

194

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 الله وإياك بقوة العزائم في النفس وفي البدن!
 آمين.
 فاما المسلك الأول: فهو صيام ثلاثة أيام من
 كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية،
 حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام
 ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال
 رسول الله ﷺ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر،
 ورمضان إلى رمضان: صوم الدهر وإفطاره! (107)
 وقال أيضاً: صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من
 كل شهر: صوم الدهر! (108) وجاء ذلك

107 - رواه مسلم

108 - رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة. وصححه الألباني،
 رقم: 3803 في صحيح الجامع.

196

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 ونوافل الصوم في السنة الصحيحة كثير. إلا
 أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الوَرَدِ
 الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار بينهما،
 ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما
 صحح في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشرط ألا تفضل
 على نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلباً،
 أو بما يؤدي إلى الفعور الكلي ثم الانقطاع! ولا
 تنس نصيحة رسول الله ﷺ: اكْلَفُوا من العمل ما
 تطيقون! فإن الله لا يمل حق قملوا! وإن أحب
 العمل إلى الله تعالى أدومُه وإن قل! (106) رَوَدِي

106 - رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر
 حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

195

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 مفسراً في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ:
 صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي
 أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة،
 وخمس عشرة. (109) وقد صح أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يلتزمها ورداً تعبدياً. فعن ابن عباس
 رضي الله عنهما، أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام
 البيض في سفر ولا حضراً! (110).

109 - رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن حماد بن عمار،
 الألباني، رقم: 3849 في صحيح الجامع.

110 - رواه الطبراني، وصححه الألباني، رقم: 4848 في صحيح
 الجامع.

197

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض
عملي وأنا صائم! ⁽¹¹¹⁾ وقد تواتر أن النبي ﷺ
كان يلتزم ذلك التزاماً؛ فقد صح أنه ﷺ: كان
يتحرى صيام الاثنين والخميس! ⁽¹¹²⁾ وفي
حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: (كان أكثر
ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقليل له؟ [أي مثل
عن سبب ذلك] فقال ﷺ: الأعمال تعرض كل

111- رواه النسائي عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم:

2959 في صحيح الجامع.

112- رواه الترمذي والنسائي عن عائشة. وصححه الألباني،

رقم: 4897 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة: في صوم المُقَلِّين السابقين!

فإن لم تستطع التزام ورد من المسلمين
المذكورين؛ لعلّة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل
المهني؛ فَلَاكَ عَوْضٌ عنهما عظيم! وذلك باعتماد
فرص العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية
الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء،
فقد صح فيهما قول الرسول ﷺ: صوم يوم
عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبله! وصوم
عاشوراء يكفر سنة ماضية! ⁽¹¹⁴⁾ فمن
التزمهما معاً، أو أحدهما؛ ورّداً لكل سنة؛ كان -
بعملية حسابية - كمن صام الدهر كله! ولك
أيضاً في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد

114- رواه مسلم.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الاثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم إلا المشاهجرين،
فيقول: أخروهما! ⁽¹¹³⁾

113- رواه أحمد عن أبي هريرة. وصححه الألباني، رقم: 4804

في صحيح الجامع.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد رمضان من
كل سنة النتيجة عنها وربما أعظم! فقد صح قول
الرسول ﷺ الصريح المليح: من صام رمضان،
وتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر! ⁽¹¹⁵⁾

ذلك إذن؛ هو الصوم، فَلَاكَ السير العجيب!
بُرَاقُ الأوراد، وواردها السري، وذكرها
الصَّامِت! حيث يُعبد الله بالترك لا بالفعل! وما
أشدّ الترك على النفس وما أعصاه! لو تدري يا
أيها السالك المحب! أن تترك ما تترك الله يعني
أنك صرت من أهل! ⁽¹¹⁶⁾ فاجعل على أورادك

115- رواد مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة.

116- يجوز استعمال عبارة (أهل الله وخاصته)؛ لما ثبت في

الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، عن
النبي ﷺ، قال: (إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تاجا من الصوم مهما قل؛ تختصر الطريق إلى الله
فتكن من أهل الريان، متفردا مع الصديقين
والربانيين!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

خاتمة

وخاتمة الكلام - يا أخي - فاتحة عمل لي ولك
إن شاء الله. إذ تحصل لك من هذا الميثاق ثلاثة
عهود:

العهد الأول: ورّد الذكر

والعهد الثاني: ورّد القرآن والقيام

والعهد الثالث: ورّد البلاغ. وهو ثلاثة

مسالك: أولها المراقبة للصلوات، وثانيها مدارس
القرآن، وثالثها بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فتعهد نفسك - أيها السالك النخب -

وأصحابك بالقرآن تدبّراً، وبلاغاً. فإن لم تجد لك

أهل الله، وخاصته! رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم،
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2165.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

قال الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك
للمحاسبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن
والأذكار، ثم مجلس القرآن. إذا وثقت عهدك
عليها كانت هي ميزان الصدق والوفاء، لعهد الله
وميثاقه. فهل وفيت؟

فأثبت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن
الخير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
(كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوا) (117)
أي: أداموه والتزموه!

وليكن مشربك من هذا كله مورد السلف
الصالح عقيدة صافية، وسلوكا ربانيا، وتربية
الستوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذكر،

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
مجلسا قرانيا؛ فأوجدته، فإن لم تتمكن فاسلك ورد
القرآن فرداً، ذاكراً ومتدبراً.

واحرص على ختمة العمر! وذلك بختم
القرآن مدارساً. حق يكون لك ذكره - بعد
ذلك - سياحة في ملكوت الرحمن، وغذاء متدفقا
على الجنان، يحى به القلب أبداً.

واجتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجعل لك
رفقة من التائبين؛ وتغرس لك ولهم جذورا
برياض المسجد، ليستقيم لك رباط الصلاة
صحبة. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا
يتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل
يوم؛ عن جديد صنعك من ذلك.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مزلقاً حرجاً، زلت بقممه أقدام، وتاهت في مسالكه أقلام! لَمَّا زينه الشيطان خدعةً واستدراجاً، لبعض جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتغاء في مستنقعات البدع والخرافات.

فاحذَرِ الحَذَرَ! مما لا دليل عليه من كتاب الله وسنة رسول الله. فإنما الأوراد عبادات. وقد عُلِمَ في أصول الفقه: أن مثل هذه الأمور تؤخذ بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في العادات الإذن حتى يرد المنع!)

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من عملك الصحيح ظاهراً، إلا ما خلص لله الواحد

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله القهار باطنياً، فاحذَرِ أن تكون من الأخسرين أعمالاً، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن العظيم: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُخْسِبُونَ أَنْفَهُمْ يُوْخْسِبُونَ عَنْهَا) (الكهف: 103-104) فابك على خطيئتك، وفكر في مصيرك، فإن كل آت قريب. والعاقبة للمتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: 200).
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ولسائر المسلمين، وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد الله يوم الأحد: 21 ربيع الثاني 1424هـ / 06/22/2003م.

فهرس المحتويات

5	مقدمة.....
31	الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه.....
45	تبصرة: كيف توثق العهد؟.....
51	الفصل الثاني: في عهد الذكر.....
53	تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المقرّدين السابقين!.....
60	تبصرة: كيف تذكر الله؟.....
72	تبصرة: في مسلك الذكر القرآني.....
74	تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (الثَّقِّي)
85	تبصرة: في مسلك الذكر النبوي.....
95	تبصرة: في مجلس الذكر.....
103	الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام.....

107	تبصرة: في أوقات القرآن.....
114	تبصرة: في قرآن القيام.....
127	الفصل الرابع: في عهد البلاغ.....
129	تبصرة: في المفاتيح الثلاثة.....
141	تبصرة: كيف البلاغ؟.....
145	الفصل الخامس: في المختار من الأذكار.....
184	تبصرة: في بُرَاقِ الأوراد.....
200	تبصرة: في صوم المقلين السابقين.....
203	خاتمة.....
209	فهرس المحتويات.....

انتهى بحمد الله.